العدد
٤٩

مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها

مجلة علميّة محكّمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العدد الأول لعام ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

دور مجتمع المدينة المنورة في مواجهة الأزمات خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م).

القول الفصل في ردة عبيد الله بن جحش (دراسة تاريخية حديثية) .

جهود المحدث المدني الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي في التعليم في العهد السعودي.

علاقة قبيلة زبيد بأشراف الحجاز في عهد مشيخة مالك بن رومي (٨٧٣-٩١٣هـ).

دور مجتمع المدينة المنورة في مواجهة الأزمات خلال العصر المملوكي

(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٣٥٠-١٥١٧م)

د. ميرفت رضا أحمد حسنين محمد

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية

جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقدمة

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على من بُعث هاديًا للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[1] لا شك أن الأزمات تُعد ظاهرة ترافق سائر الأمم والشعوب في جميع مراحل النشوء والارتقاء والانحدار.

وقد تعرضت المدينة المنورة لأزمات طبيعية وبشرية متفاوتة خلال العصر المملوكي، ربما بسبب نمو واتساع المجتمع فيها لاسيما زيادة الوافدين إليها من الزوار والمجاورين، مع محدودية الموارد، وشدة المنافسة السياسية والاقتصادية -في بعض الفترات- إلى ما يمكن أن يؤدي لمزيد من الأزمات خلال تلك الفترة التاريخية المعنية بالدراسة.

ومن بين الأسباب التي كانت تؤدي إلى حدوث تلك الأزمات، الأسباب الطبيعية كالسيول والزلازل والبراكين والأوبئة والأمراض التي كان لها دور مباشر في إتلاف العديد من المزارع والحقول والمحاصيل الزراعية بأنواعها. والأسباب البشرية كالفتن والصراعات الداخلية

(١) البقرة: ١٥٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بين الأمراء، والهجمات الخارجية، والأزمات الاقتصادية التي ترتبت على الأزمات السياسية والطبيعة وتسببت في غلاء الأسعار. وكان للمماليك دور كبير في التخفيف منها، فكانوا يرسلون كميات كبيرة من المؤن إلى المدينة وبشكل مستمر طوال عصرهم خاصة في أيام القحط، كما كان للمجتمع بفئاته دور مهم في التصدي للأزمات والتخفيف من آثارها السلبية.

ولا شك أن حدوث الأزمات يرجع لأسباب تتعلق بالتغيرات الكثيرة التي حدثت في مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والسكانية والبيئية، والتي أثرت في حياة الإنسان داخل الكيان الاجتماعي والتنظيمي لمجتمع المدينة، فقد أصبح من المعروف بأن التحدي الكبير الذي يواجه الأفراد والدول يتحدد بسلسلة من الأزمات، التي تختلف في طبيعتها وحجمها وعوامل تحريكها، مؤدية إلى خلق الصعوبات والمشكلات، وإحداث الانهيارات في القيم والمعتقدات والممتلكات ، لذا فإن مواجهة الأزمات والوعي بها يُعد أمرا ضرورياً لتفادي المزيد من الخسائر المادية والمعنوية. ومن هنا فقد نشأت أفكار جادة من أجل دراسة، وتحليل الأزمات، ومحاولة الخروج منها بأقل الخسائر، وذلك بالحد من تداعياتها والتخفيف من وقع تأثيرها من خلال تعاون فئات المجتمع.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين: اشتمل التمهيد على مدخل للأزمات وتعريفها، واستعرض المبحث الأول أسباب الأزمات والآثار المترتبة عليها. أما المبحث الثاني فقد سلط الضوء على دور المجتمع في مواجهة الأزمات وقد ركز البحث على دور السلاطين بشكل كبير، ثم باقي فئات المجتمع كالوزراء والأمراء، والعلماء، والشعراء، والعامة. ثم خاتمة بأهم النتائج والتوصيات، وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة لكونها تكشف النقاب عن الأزمات وتبرز دور مجتمع المدينة المنورة (من سلاطين، وعلماء، وشعراء، وعامة) في التغلب على الأزمات خلال العصر المملوكي.

والتعرف على مستوى التوعية المجتمعية في معالجة الأزمات؛ لاستعادة النشاط والتعلم من الأزمات خلال العصر المملوكي.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف من بينها:

١. الوقوف على كيفية مدى تمكن مجتمع المدينة المنورة خلال عصر المماليك من التغلب على الأزمات، والتخفيف من أضرارها.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢. التعرف على مدى انسجام المجتمع المدني إبان العصر المملوكي.

٣. التعرف على أسباب الأزمات، والمسبب لها والمؤثر فيها.

٤. التعرف على مدى مقاومة الإدارة في المدينة لتلك الأزمات وإيجاد الحلول لها.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي، الذي يعرف بالمنهج الاسترداديالذي يعتمد على استرداد ما كان في الماضي لمعرفة حقيقة مجريات الأحداث والمشكلات التي شكلت الحاضر وأسهمت فيه، وصفاً ونقداً وتحقيقاً، وذلك من خلال استرداد المسببات للأزمات وتفصيلاتها وشرحها وجمع البيانات وتحليلها وتوثيقها ومقارنتها بما ورد في مصادر أخرى؛ بهدف إيجاد تفسيرات منطقية لأهمية دور مجتمع المدينة المنورة في مواجهة الأزمات خلال العصر المملوكي. فضلا عن استخدام المنهج النقدي لنقد الروايات التاريخية بهدف الوصول إلى الحقائق، لذا يعتبر المنهج النقدي مكملا أساسيا لمنهج هذه الدراسة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التمهيد:

قبل الدخول في صلب الدراسة لابد من ذكر ما يتعلق بالأزمة من مصطلحات(١)، وذكر تصنيف الأزمات، وهذا ما سنتطرق إليه فيما يلي:

---

(١) لا شك أن معرفة خصائص الأزمة يعطي تصوراً واضحاً عن طريقة التعامل معها، ومنها:

١. ان الأزمة تعتبر نقطة تحول أساسية في أحداث متتابعة ومتصارعة. الشمري، فهد بن عايض، المدخل الإبداعي لإدارة الأزمات والكوارث، ١٤٢٣هـ، ص١٨.

٢. الحاجة للتدخل السريع الصائب، وهذا يحتاج إلى قيادة رشيدة مؤهلة تكون حاضرة الذهن عالمة بما يصلح.

٣. فقدان السيطرة على الأزمة ،لأن جميع أحداث الأزمة تقع خارج نطاق قدرة المتعامل مع الأزمة، ولكن يلزم التعامل معها؛ للتقليل من آثارها، أو الاستفادة منها.

٤. سيادة جانب الخوف والذعر لحد الرعب من الهول الذي قد تتحرك الأزمة إليه . آل سعود، خالد بن عبد الله، اتخاذ القرارات في ظروف الأزمات، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٧١،٧٢. هذا وتمر الأزمة بأطوار ومراحل مختلفة -عادة- ما تقسم إلى أربع مراحل:

١- المرحلة التحذيرية: وهي التي يكون فيها شيء ما واضحا أو مبهما يلوح في الأفق وينذر بموقف غير محدد المعالم أو الاتجاه أو الشدة والمدى الذي يصل إليه.

٢- مرحلة الولادة: حيث تنمو الأزمة وتشتد بشكل متسارع.

٣- مرحلة الانفجار: وهي المرحلة التي تتميز بدرجة عالية من القوة والشدة والعنف.

٤- مرحلة الانحسار: وهي المرحلة التي يبدأ فيها تلاشي الأزمة، وفقدانها لقواها الدافعة أو المولدة لها. الدليمي عبد الرزاق محمد، إشكاليات الإعلام والاتصال في العالم الثالث، عمان، مكتبة الرائد العلمية، ٢٠٠٤، ص١٦٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ترتبط الأزمات بالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتؤثر مباشرة على المجتمعات، لاسيما الطبقات العليا والدنيا فيها وهي صلب المجتمع، ولا غرو في ذلك فمن سنة الله تعالى في خلقه الابتلاء بشتى صوره سواء كان الابتلاء خاصة بأفراد معينين دون غيرهم أو بمجموع من الناس، وهذا يؤكد أن الأزمات ليست خاصة بمجتمع دون الآخر، ولا زمن دون زمن، بل إن المتتبع لتاريخ البشرية يجد عددا من الأزمات برزت في مجتمعات مختلفة، وكانت فائدة لمجتمعات أخرى، وإذا ما تتبعنا تاريخنا الإسلامي نجد أن المسلمين في المدينة المنورة قد تعرضوا للكثير من الأزمات وهذا ما توضحه الدراسة.

والأزمة لغة هي الشِدَّةُ والضيق والقَحْطُ(١). قَالَ الْأَصْمَعِي وَغَيره: أصل الأزم الشدّة وإمساك الْأَسْنَان بَعْضهَا على بعض، وَمِنْه قيل للْفرس: قد أزمَ على فأس اللِجام إِذا قبض عَلَيْهِ، وَلِهَذَا سميت السَّنة أزمة إِذا أَصَابَتْهُم فِيهَا مجاعَة وَشدَّة يُقَال: قد أزَمتْ تأزِم أزما. فَأَرَادَ بالأزم الْإِمْسَاك عَن الْمطعم(٢). وذكر ابن منظور أن الأزمة هي السنة المجدبة،

(١) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، ت ٣٥٠هـ: معجم ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، القاهرة، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٤، ص١٤٧؛ ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت: ٤٥٨هـ: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج٩، ص٨٤.

(٢) البغدادي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، ت٢٢٤هـ: غريب الحديث، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأزم عليهم العام والدهر: اشتد قحطه، وقيل اشتد وقل خيره، والمتأزم: المتألم لأزمة الزمان(١).

والأزمة اصطلاحا هناك العديد من التعريفات للأزمة؛ وذلك لتعدد وجهات نظر الباحثين فيها: فقد عرفها الكبيسي بأنها:" حالة استثنائية طارئة تتعرض لها المنظمات، فتصاب بالتوتر والقلق، وتنذر بوقوع الخطر، سواء كانت مادية أو معنوية"(٢) وعرف الشمري الأزمة بأنها: "حالة من عدم الاستقرار تُنبئ بحدوث تغير حاسم وشيك قد تكون نواتجه مرغوب فيها وإيجابية"(٣) وهي موقف أو حدث ،أو حالة تخرج عن المألوف وتودي إلى تغيير التوازن القائم(٤).

=

تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط١، حيدر آباد- الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج٣، ص٣٣٠.

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري ت٧١١هـ: لسان العرب، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج١٤، ص٢٨٢.

(٢) الكبيسي، عامر، ماهية الأزمات الإدارية وخصائصها، الأمن والحياة، السنة (٢١)، العدد(٢٣٨)، (١٤٢٣هـ)، ص٣٤.

(٣) الشمري، فهيد، المدخل الإبداعي لإدارة الأزمات والكوارث، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ ،ص٤.

(٤) ابراهيم، أحمد، إدارة الأزمة منظور عالمي. الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، ص٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد استعير مصطلح الأزمة من التراث الطبي اليوناني، الذي كان يعبر بهذا المصطلح عن التغيرات المفاجئة والسريعة التي تطرأ على الحالة العامة للمريض فتفضي إما إلى الشفاء التام أو إلى التدهور ثم الوفاة(١).

من هذه التعريفات يتضح أن الأزمة حالة طارئة واستثنائية وفترة حرجة وغير مستقرة، تحمل في طياتها مخاطر عديدة. وهذا ما توضحه الدراسة في تناولها للأزمات الطبيعية والسياسية والاقتصادية.

وهناك أسباب عديدة تقف وراء حدوث الأزمات، وهذه الأسباب تختلف وتتنوع بحسب اختلاف المجالات التي تحدث فيها الأزمة، والقطاعات التي تمسها، والمؤسسات التي تطالعها، ومن بين هذه الأسباب: أسباب طبيعية وأسباب بشرية(٢).

- الأسباب الطبيعية، وهي التي لا يؤثر الإنسان في حدوثها. مثل الكوارث الطبيعية كالزلازل، والبراكين، والسيول وغيرها.
- الأسباب البشرية، كأسباب سياسية، اقتصادية، مذهبية.

(١) آل مانعة، خالد بن مسفر، دور المواطن في مواجهة الكوارث والأزمات في عصر المعلومات، الرياض، دار النحوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٠: ص١٣٥.
(٢) ابراهيم، أحمد، المرجع السابق، ص٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وما كان من أزمات وفتن وقعت بالمدينة مصداق قول رسول الله ﷺ «هل ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»(١) وهذا من علامات النبوة، وظهر مصداق ذلك قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ثم الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، ثم وقعة الحرة وغيرها(٢) من الفتن والأزمات التي سوف يلقى عليها الضوء في ثنايا البحث.

وغني عن البيان ذكر كل ما ورد من تحبيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، فقد كثرت أحاديث النبي ﷺ التي تنص على فضل الصبر على ما بالمدينة من شدة وحر وأزمات، ومنها على سبيل المثال قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اصبروا وأبشروا فإني قد باركت على صاعكم ومدكم، فكلوا ولا تفرقوا فإن طعام الواحد يكفي الإثنين، وطعام الإثنين

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه =صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ج٣، ص٢٣، ١٣٣؛ مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ: المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ج٤، ص٢٢١١؛ أحمد بن حنبل، ت٢٤١هـ: مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ج٣٦، ص٧٨.

(٢) ابن حجر، محمد بن أحمد: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج٤، ص٩٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الخمسة والستة، وإن البركة في الجماعة، فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة، ومن خرج عنها رغبة عما فيها، أبدل الله به من هو خير منه فيها، ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء"(١) وروي عن النبي ﷺ أنه قال :«لا يَثْبُتُ أَحَدٌ على لأوَائِها وجَهْدِها إلا كُنْتُ لَهُ شفيعًا أو شهيدًا يومَ القِيَامَةِ»(٢).

وجاء في ذم من رغب عنها، عن النَّبِي -ﷺ- أَنَّهُ قالَ :يَأتي على النَّاس زَمانٌ، يَدْعو الرجلُ ابنَ عَمِّهِ وقريبَهِ : هَلُمَّ إلى الرخاء، هَلُمَّ إلى

(١) وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، تَفَرَّدَ بِهِ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ وَهُوَ لَيِّنُ الْحَدِيثِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ، وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ. أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ): مسند البزار المعروف باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، ج١، ص٢٤٠.

(٢) ابن الملقن (سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ت ٨٠٤هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١، دمشق –سوريا، دار النوادر، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨ م، ج٥، ص١٦٧؛ العِراقي (٧٢٥-٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧-٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥-١٢٠٥ هـ): تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استِخرَاج: أبي عبد الله مَحمُود بن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤هـ)، ط١، الرياض، دار العاصمة للنشر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ج٢، ص٦٤٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرَّخَاء، والمدينةُ خَيْرٌ لهم لَوْ كَانُوا يَعْلَمون، والّذي نَفْسي بِيَدِه؛ لا يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْها إلا أَخْلَفَ اللهُ فيها خَيْراً مِنْهُ، ألا إنَّ المدينة كالْكير، تُخْرِجُ الخَبيثَ، لا تَقُومُ الساعةُ حَتَّى تَنْفي المدينةُ شِرارَها، كَمَا يَنْفي الكيرُ خَبَثَ الْحَديد(١).

(١) مسلم، (أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ)، المسند الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٢، ص١٠٠٥؛ العِراقي (٧٢٥ -٨٠٦هـ)، ابن السبكي(٧٢٧-٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥-١٢٠٥هـ)، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استِخرَاج: أبي عبد اللهَّ مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤هـ)، ط١، الرياض، دار العاصمة للنشر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م، ج١، ص١١٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الأول
أسباب الأزمات والآثار المترتبة عليها:

١ - الأسباب السياسية :

مع بداية حكم المماليك(١)، كانت المدينة المنورة إمارة مستقلة عن مكة، يحكمها أمراء آل مهنا الحسينيين، وكان لهم سلطة قوية في المدينة منذ منتصف القرن الرابع الهجري رغم امتداد سيادة السلاطين الأيوبيين ثم المماليك(٢).

(١) مماليك: مملوك، مشتق من ملك، ويقصد به جموع الرقيق البيض الذين جلبهم التجار إلى البلاد الإسلامية. أخذ عدد المماليك يتكاثر في مصر زمن الأيوبيين، وأخذ نفوذهم يزداد ويعظم في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقد شكلوا طبقة عسكرية مهمتها الدفاع عن السلطان. ثم أصبحوا في النهاية الطبقة الحاكمة لمصر والشام وأجزاء من الجزيرة العربية أكثر من قرنين ونصف من٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م إلى ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، واتفق المؤرخون على تقسيم دولة المماليك إلى قسمين: الأول الدولة المملوكية الأولى المعروفة باسم دولة الأتراك أو البحرية لأن معظم سلاطينها من الأتراك الذين أسكنهم الصالح جزيرة الروضة، وجعل منهم فرقة البحرية الصالحية. أما القسم الثاني فهو الدولة المملوكية الثانية التي أطلق عليها اسم دولة الجراكسة أو المماليك البرجية، لأن معظم سلاطينها من الجراكسة الذين اشتراهم السلطان قلاوون، وأنزلهم أبراج قلعة الجبل. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت٨٤٥هـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق خليل منصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ج٣، ص٤١١-٤٢٠؛ طقوش، محمد سيبل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ط١، القاهرة، دار النفائس، ١٩٩٧م، ص١٥، ١٦.

(٢) الجهني، عويضة، سلطة أشراف مكة في المدينة المنورة خلال القرن العاشر الهجري-

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان بعد المدينة المنورة عن مركز الحكم في القاهرة أحد أهم الأسباب التي أدت إلى الصراع على الحكم في المدينة، خاصة وأن أبناء الحسين هم من يديرون المدينة، وأن الحسنيين يحكمون في مكة إلا أن الأخيرين كانت لهم رغبة في السيطرة السياسية والإدارية في المدينة، إضافة إلى مكة المكرمة مما أغضب الحسينيين، وبالتالي تعددت الحملات من مكة المكرمة من قبل الحسنيين ضد أبناء عمومتهم. مما ضرب الاستقرار في المدينة في فترات تاريخية كبيرة.

كما لم تنته تلك الصراعات بين الأشراف في المدينة على الإمارة، فقد عمل أمير المدينة عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا، على توطيد سلطته؛ وذلك بعزل أخويه منيف وجماز مما حملهما على التآمر ضده، فدخلا قصر الإمارة وقبضا على عيسى وسجناه، وذلك سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م، وتولى الإمارة أبو الحسين منيف بن شيحة يساعده في ذلك أخوه جماز[١] ولما توفي الأمير منيف بن شيحة سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م

=

مجلة الجمعية التاريخية السعودية –العدد السادس عشر، السنة الثامنة، ذو القعدة ١٤٢٨هـ/ نوفمبر ٢٠٠٧م. ص ٦٧-٦٨.

(١) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله، ت٨٧٤هـ: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٤، ص١٩٣؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، ٩٠٢هـ: التحفة اللطيفة في تاريخ

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تولى الإمارة أخوه جماز يشاركه في الحكم أخوه مالك بن منيف(١). وشهد عهد كبيش بن منصور صراعاً على الإمارة مع عمه ودي سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م خرج على إثرها كبيش من المدينة(٢).

وما كادت الصراعات بين الأشراف تهدأ حتى تشتعل من جديد بسبب كثرة عزل الأمراء وتدخل صاحب الحجاز، ففي سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م أعيد ضيغم بن خشرم(٣) للإمارة بعد ثلاثة أشهر من عزله، وحسنت سيرته، ثم عزله صاحب الحجاز وعين مكانه زهير(٤)

=

المدينة الشريفة، ط١، بيروت، الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. الشريفة، ج٢، ص٣٦٦؛ المديرس، عبد الرحمن مديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ٣١.

(١) بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط١، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٢٣٨.

(٢) المديرس، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٣) ضغيم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعير بن منصور الحسيني أمير المدينة وليها في شوال سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م، أقام نحو أربعة أشهر ثم عزل. السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص٢.

(٤) زُهَيْر بن سُلَيْمَان بن هبة بن جماز بن مَنْصُور الْحُسَيْنِي / أَمِير الْمَدِينَة. وَليهَا بعد زبيري الْمَاضِي فِي آخر سنة خمس وَسِتِّينَ فاستمر حَتَّى مَاتَ فِي صفر سنة ثَلَاث وَسبعين غير أَنه انْفَصل فِي شَوَّال سنة تسع وَسِتِّينَ نَحْو أَرْبَعَة أشهر بضغيم بن خشرم الْحُسَيْنِي المنصوري وَهُوَ المستقر بعد مَوته. السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج٣، ص٢٣٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الذي استمر في الإمارة إلى سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م ثم راسل أتباع ضيغم السلطان المملوكي مع بعض الفقهاء، فأعيد الأخير في أثنائها بعد موت زهير في سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م، فلما كان في سنة ٨٧٨ هـ/ ١٤٧٣م جاء الشريف شامان أبو فارس إلى المدينة، ونزل تحت جبل سلع(١) بخيله، وكان عدد خيله زيادة على خمسمائة يطالب بإقطاعه أمير المدينة لكون ضيغم له سنين لم يعطه شيئا فاستمر إلى رمضان سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م، وعُزل بقسيطل بن زهير بن سليمان بن هبة، وذلك أنه لما قتل الزكوي بن صالح القاضي في أواخر سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م بسبب أخذ دار الأشراف العباسيين لم يواجه ضيغم أمير الحاج المصري، وفي السنة التالية جاء الجمالي بن بركات صاحب الحجاز بعسكر في طلبه فوجده بالبادية فراسله في الحضور فرفض فتوجه الجمالي وترك بالمدينة عسكرا فيه السيد مجول ابن صخرة الحسني الينبعي والشريف قسيطل وأقاربه من آل جماز، وأرسل إلى السلطان بهذا، فأمر باستقرار قسيطل، واستمر ضيغم معزولا مقيما بالبادية إلى أن عُزل قسيطل، وولي حسن فكان يدخل المدينة لاتفاقه معه وكونه قريبا له وبنو حسين يرجعون لرأيه ويستمدون بمشاورته مع

(١) جبل سلع: جبل بسوق المدينة. وقيل: موضع بقرب المدينة. والمشهور أنه الجبل الذي على باب المدينة. البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي الحنبلي، ت٧٣٩هـ: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٧٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حذره، بحيث إنه لم يكن يجتمع مع الشريف صاحب الحجاز حين قدومه للزيارة ولا في غيره إلا أنه اجتمع به بالمسجد في سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م(١).

ومن هذه الصراعات الفتن السياسية التي وقعت بين أبي نمي(٢) صاحب مكة، وبين جماز بن شيحة(٣) صاحب المدينة سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، واشتعلت الفتن السياسية سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م عندما تولى الإمارة عدة أمراء من أسرة جماز، واستمرت الفتن ففي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م رفض نمير بن منصور أن ينصاع لأمر السلطان، ويسلم المدينة لجماز بن هبة بن جماز، ثم كانت فتنة سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م الذي نهبت فيها المدينة المنورة على يد علي بن عطية، حيث غضب السلطان برقوق(٤)، وأفرج عن ثابت

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،ج١،ص٤٦٤ ،٤٦٥.

(٢) أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن على بن قتادة صاحب مكة يلقب نجم الدين ولي مكة نحو خمسين سنة وكانت وفاته سنة٧٠١هـ/ ١٣٠١م .الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص٤٥٦-٤٧١.

(٣) جماز بن شيحة بن هاشم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن عامر ابن يحي بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولي المدينة واستمر في إمرتها حتى عزل من السلطان سنة٧٠٢هـ، وتوفى سنة ٧٠٤هـ. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ،ت٨٥٢هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط٢، حيدر آباد الهند، دائرة المعارف، ج٢، ص٨٨.

(٤) الظاهر برقوق: تولى السلطنة بمصر سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وكان أعظم الشراكسة توفى سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. المقريزي: المواعظ والاعتبار،ج٣،ص٤٢٠، ٤٢١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بن نعير وقلده إمارة المدينة، واشتبك ابن نعير مع جماز بن هبة عندما هاجم المدينة سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م(١).

وتجددت الفتن السياسية بشكل أكبر مما سبق عندما تولى واحمان(٢) إمارة المدينة سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م وعُزل غير مرّة ونزلها وَهُوَ مَعْزُول فِي سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م، ولم تنته تلك الأزمة إلا في عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م حين استقرت الأوضاع السياسية للأمير زبيري بن قيس(٣).

كما كان قتل الأمراء، سببا في الصراعات السياسية، فعندما قُتل منصور بن جماز على يد ابن أخيه حريقة بن قاسم بن قاسم بن جماز سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م(٤) وتولى الإمارة من بعده ابنه كبيش بن منصور زادت الاضطرابات، ولم تستقر له الأمور فخرج من المدينة، غير أنه ما لبث أن

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٢) هو واحمان -ويقال وميان- ولد بن مَانع بن عَليّ بن عَطِيَّة بن مَنْصُور بن حمَار بن شيخة الْحُسَيْنِي الْمدنِي أمير المدينة، وَليهَا بعد قتل أَبِيه (للمزيد يراجع المقريزي (تقي الدين أحمد ابن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (المتوفى: ٨٤٥هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج٧، ص٣٢٣.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٢،ص٣٢١.

(٤) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٤، ص١٩٥؛ المديرس، المرجع السابق، ص ٣٢-٣٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عاد بأمر السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وظل في الإمارة حتى مقتله على يد أولاد عمه مقبل بن جماز(١).

وما لبث أن اقتتل جماز وثابت وحسم نزاعهما بالسيف، وتولى جماز الإمارة في سنة٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م حتى عزل عنها في سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م، فانتقم لعزله(٢).

ولم تقتصر الصراعات بين الأشراف داخل الأسرة، وإنما لجأ بعضهم إلى الاستعانة بالعربان فتجددت الاضطرابات، وتزايدت الفتن بين القوى المتنافسة مثلما حدث مع ضيغم بن خشرم أمير المدينة سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م الذي أقام نحو أربعة أشهر، ثم عزل بزهير بن سليمان فاستعان بعسكر كثير من الأشراف والعربان وتسوروا بالمدينة ليلا، واقتحموها، كما أمر بعض صبيانه بالجلوس على أبواب القضاة وأعيان الفقهاء وكل من خرج منهم لصلاة الصبح يمسكونه، فنزل مطر غزير، بحيث سالت السيول فلم يتمكنوا معه مما هدفوا إليه فراحوا إلى الدرب الصغير، وكسروا القفل ورموا الدرباس(٣) في بئر عنده، و نهبوا بعض

(١) المديرس، المرجع السابق ، ص ٣٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٣، ص٧٨ .

(٣) الدرباس: الأسد: الكلب العقور: مزلاج الباب وهو حديدة تعترض خلف الباب يسد بها فلا يفتح. الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ: =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بيوت المدينة، وكان بها أخ لأميرها زهير يقال له إبراهيم ومعه ابن عمه فحاربوا جماعة ضيغم وقتلوا منهم شريفا بالسوق وانتهى الأمر(١).

وكان من نتيجة الصراعات السياسية اضطراب الأمن، والهجوم على الحجرة الشريفة والمسجد النبوي، مثلما حدث عندما علم جماز بن هبة٨١١هـ /١٤٠٨م، بعزله عن إمرة المدينة، عمد إلى المسجد النبوي وكسر القبة وأخذ ما فيها من قناديل الذهب والفضة وثياب كثيرة معدة للأكفان وغير ذلك(٢).

ومن خلال ما سبق في تلك الحادثة يتضح أن الصراع السياسي عندما يشتد في المدينة فلا يراعي الخصوم السياسيون حرمة المسجد النبوي، وكانت مسألة متكررة إبان العصر المملوكي مثلما حدث سنة٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، عندما بلغ عجلان عزله عن إمرتها وولاية خشرم خرج منها راحلا عنها، يقول ابن شاهين الظاهريّ في نيل الأمل:

=

القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ج١، ص٥٤٤؛ أحمد رضا: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، بيروت، دار مكتبة الحياة ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م، ج ٢، ص٣٩٤ .

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص٤٦٤، ٤٦٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٤، ٢٥٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

"ودخلها خشرم، فلم يلبث غير ليلة حتى صبّحه عجلان ومعه أحلافه وجموعه من العربان فنهبوا المدينة وأخربوا مواضع من سورها، وأخذوا ودائع كانت بها للحاج الشامي، وقبضوا على خشرم، ثم خلّوه لسبيله، واعتدوا على حرمة المسجد النبويّ، ووقع منهم عظائم" (١).

ومنها الاعتداء الذي وقع من بعض الأشراف من بني حسين على الحجرة النبوية في ذي الحجة سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، وسرقوا من قناديلها الذهب والفضة، ولم يفطن لذلك إلا في السنة التي بعدها فاسترجع منه ما أمكن وقد انتهت الأزمة بالقضاء على المجرم الذي ارتكب هذه الحادثة حيث نجح في القبض عليه وصلبه(٢).

وما قام به دبوس بن سعيد الحسيني الطفيلي من أشراف آل الطفيل ابن منصور، من اعتداء على الحجرة النبوية في أخذ جملة من قناديلها، وذلك سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م وكان ذا نفوذ بحيث خاف أمير المدينة زبيري منه وقوع فتنة، وكان ذلك سببا لتغافله عنه، حتى انسحب إلى الفرع(٣).

(١) ابن شاهين الظاهريّ، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل، ت٩٢٠هـ: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ج٤، ص٢٠٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص٤٥.

(٣) الفرع من المدينة على أربعة أيّام في جنوبيّها وبها مسجد جامع. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي، ت٣٤٦هـ: المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤ م، ص١٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم في سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م اقتحم المدينة حسن بن زبيري أيام نيابته بها، وكسر قبة الزيت وأخذ ما كان بها من نقد وقناديل وغير ذلك، ويبرر حسن بن زبيري إقدامه على نهب المسجد النبوي بسبب تدخل أمير مكة في الشؤون المالية واقتطاع نسبة من واردات إمارة المدينة لإمارة مكة، ومحاسبة مسؤولها المالي، ومن ثم هبط دخل أمير المدينة(١).

ومما سبق يتضح تكرار هجوم الخصوم السياسيين على المسجد النبوي والمدينة المنورة إبان العصر المملوكي دون مراعاة حرمة الأماكن المقدسة.

٢- الأسباب الاقتصادية :

تراوحت الأوضاع الاقتصادية في المدينة المنورة بين الاستقرار والاضطراب، شأنها في ذلك شأن الأوضاع السياسية، التي كان لها أثرٌ مباشرٌ على الأوضاع الاقتصادية، فالاستقرار السياسي له مردوده الإيجابي على الوضع الاقتصادي المتمثل في النمو والازدهار في الحياة الاقتصادية، أما الاضطراب السياسي المتمثل بالفتن الداخلية، فإنه يؤثر بصورة سلبية على الأوضاع الاقتصادية، ويؤدي إلى تدهور في الأحوال المعيشية وخلق الأزمات الاقتصادية، وبالتالي يتفشى الفقر والجوع والغلاء وتسوء الحالة الاقتصادية(٢).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص٤٥.

(٢) بدر: عبد الباسط، ملامح الأدب في المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز بحوث =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وترتب على الأزمات السياسية والأمنية كساد الأسواق وانتشار الجور حتى عم النَّاس الْفَاقَة وزادت الشكاية(١). ومن الأمثلة على ذلك الفتنة التي وقعت بين أبي نمي صاحب مكة وبين جماز بن شيحة صاحب المدينة سنة٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، والتي أدت إلى أزمة عسكرية تلتها أزمة اقتصادية عم فيها الغلاء حتى بلغ سعر الشعير كل قدّ(٢) بدينار وأصبح الدخن كل مدّ(٣) وربع بدينار(٤)، غير أن هذه الحالات كانت معدودة، تحدث في فترة ضعف السلطان المملوكي أو الإدارة في المدينة المنورة.

ومن أشرس الأزمات ما كان سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م(٥) حيث

=

ودراسات المدينة المنورة، ع٩، ص٣١.

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٧،ص١٤٥.

(٢) القَدُّ: جِلْدُ السَّخْلة، وَقيل: السَّخْلَةُ الماعِزَةُ. وَقَالَ ابنُ دُرَيْد: هُوَ المَسْكُ الصغيرُ، القَدُّ القَدْرُ أَي قَدْرُ الشيءِ. الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، ت ١٢٠٥هـ: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٩، ص١٢.

(٣) المُدُّ، مِكْيَالٌ وَهُوَ رِطْلٌ وَثُلُثٌ عِنْدَ أَهل الْحِجَازِ وَالشَّافِعِيِّ، وَرِطْلَانِ عِنْدَ أَهل الْعِرَاقِ وأَبي حَنِيفَةَ، وَالصَّاعُ أَربعة أَمداد. ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ٤٠٠؛ الفيروزآبادي، مجد الدين ابن يعقوب، ت٨١٧هـ: معجم القاموس المحيط، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط٤، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٩م، ص١٢١١.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، ص٣٢٨.

(٥) قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى، أبو عزيز الحسني العلوي، جد الأشراف. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٧، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٥، ص١٨٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حدث صراع سياسي كان من نتيجته اشتعال أزمة اقتصادية بالمدينة المنورة حتى ارتفع سعر الشعير كل قدّ بدينار، أما الدخن فأصبح كل مدّ وربع بدينار ذهبي. ولشدة الصراع السياسي داخل المدينة استمرت هذه الأزمة إلى حصول الفتن بين أبي نمي وبين قتادة (١).

كما تسبب الزام بعض السلاطين، الأمراء بدفع مبالغ مالية مقابل تعيينهم في المدينة إلى أزمة اقتصادية، مثلما حدث عندما عين السلطان الأشرف برسباي، خشرم بن دوغان أميرًا للمدينة سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م مقابل التزامه بدفع مبلغ كبير يقدر بخمسة آلاف دينار سنويا(٢)، وعندما لم يوف هذا الأمير بما ألزم به، قبضت القوات المملوكية عليه سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٧م وأقامت بدله الشريف مانع بن علي

(١) الفاسي(تقي الدين محمد بن أحمد بن طي،ت٨٢٣هـ: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٠م، ج٢، ص٣٢٨؛ ابن فهد، محمد بن محمد،ت٨٨٥هـ: اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٠٨.

(٢) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي ت ٨٤٥هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ج٧، ص١٤١؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، ت٨٧٤هـ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، ج١٤، ص٣٠٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ابن عطية[١]. ولكن بعد أن أرهق هذا الالتزام المدينة وتسبب في ارتفاع الأسعار؛ لأن خشرم سعى لجبايته من أهل المدينة بفرض ضريبة على الأهالي وتُعد هذه الأزمة من أغرب الأزمات الاقتصادية التي مرت بالمدينة إبان العصر المملوكي.

كما أدت الاضطرابات الأمنية في المدينة إلى أزمات اقتصادية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث في سنة٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م حينما هاجمتها بعض القبائل بدعم من الخيابرة، وبعض الصعاليك من أهل المدينة، فنهبت كثيرا من أحيائها وأسواقها[٢] إن هذا التدهور الأمني، وحوادث النهب والسلب، لابد أن ينعكس بصورة سلبية على أوضاع السكان الاقتصادية.

ولا شك أنه مع الصراعات السياسية والأمنية الكثيرة، أغلقت الأسواق وهبطت همة أصحاب الحرف والصناعات، وبالتالي كان لهذا أثره الكبيرة على الأوضاع الاقتصادية في المدينة المنورة حينذاك.

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٧،ص١٦٠

(٢) وقعت هذه الحوادث أثناء إمارة طفيل بن منصور نتيجة لعزله من منصبه. السخاوى: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، بيروت، الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص٢٥٩-٢٦٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣- الأسباب الطبيعية:

وهي أحد أسباب نشوء الأزمات، مثل السيول والزلازل والبراكين وغيرها من الكوارث التي يصعب التكهن بها و التحكم في أبعادها، وعادة ما يكون لها تداعيات سلبية على المجتمع. مثل إهلاك الأنفس، وضياع الثروات، وانهيار المنازل، وإتلاف العديد من المزارع والحقول والمحاصيل الزراعية بأنواعها وغيرها ومنها:

- **السيول**

رغم ما للأمطار من أثر مهم في تنمية الثروتين الزراعية والحيوانية، فإن الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة، لهما آثارهما السلبية والمدمرة على المزارع، والمساكن والناس. فقد يؤدي هطول الأمطار بغزارة إلى قطع الطرقات، ومنع وصول البضائع والسلع، وجرف المزارع، وتخريب التربة وتدمير المحاصيل الزراعية، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعارها، كما تؤدي السيول الجارفة إلى الاضرار بالمرافق والمنشآت العامة. ففي ليلة الرابع من المحرم سنة ٦٥٤هـ /١٢٥٦م أمطرت المدينة النبوية مطراً عظيما فسقطت سقوف المسجد النبوي والحجرة الشريفة، وخربت عدة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

دور وتلف نخل كثير من السيول(١)، وكانت الأعين قد أتلفها السيل، وخرب عين الأزرق(٢) حتى عادت ملحاً أجاجا(٣).

وفي أوائل سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م أدت الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة إلى إلحاق الضرر بالمسجد النبوي الشريف، وبالكثير من المساكن، وتدمير أعداد كبيرة من النخيل والمحاصيل الزراعية. كما دمرت السيول العيون الجارية بالمدينة، ومنها الأزرق التي يستقي منها أهل المدينة (٤).

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ،ت ٧٧٤هـ:البداية والنهاية، دار الفكر،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م،ج١٣،ص١٨٧.

(٢) عين الأزرق : وتعرف بالعين الزرقاء: أجراها مروان بن الحكم في زمن معاوية، وأصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربي مسجد قباء في حديقة نخل، وتجري إلى المصلى، وعليها في المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين، يخرج الماء منها في وجهين مدرجين قبلي وشمالي، وتخرج العين من جهة المشرق، ثم تأخذ إلى جهة الشمال. السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن ،ت٩١١هـ:وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩، ج٣، ص١٤٨؛ شُرَّاب، محمد بن محمد حسن: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، دمشق. بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١١هـ، ٢٠٤.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص١٨٧.

(٤) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، ت٨٠٧هـ: تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٣٩م، ج٨، ص٥٢؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص١٩٩، ٢٠٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويبدو أن هذه الكارثة، التي حلت بالمدينة، قد أثرت على الأوضاع الاقتصادية بشكل عام، وعلى النشاط الزراعي بشكل خاص، فقلت الكميات المعروضة من المحاصيل الزراعية مما أدى إلى ارتفاع أسعارها، واشتد الجوع على أهالي مدينة الرسول -ﷺ-.

ومن السيول التي كانت آثارها مدمرة سيل سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م وهو سيل وادي قناة[١] ويأتي من المشرق حتى يصل السد، الذي أحدثته

(١) وادي قناة سمي بذلك لأن تبّعا لما غزا المدينة نزل به، فلما شخص عن منزله قال: هذه قناة الأرض، فسميت قناة، وتسمى الشظاة، وفي القاموس أن هذا الوادي عند المدينة، أي ما حاذاها منه يسمى قناة، ومن أعلى منها عند السد أي الذي أحدثته نار الحرة تسمى بالشظاة. وقال ابن شبة: وادي قناة يأتي من وج أي وج الطائف.
وعن شريح بن هانئ الشيباني أنه قدم على عمر بن الخطاب ومعه امرأته أم الغمر فأسلمت، ففرق بينهما عمر، فقال: يا أمير المؤمنين اردد عليّ زوجتي، فقال: إنها لا تحل لك إلا أن تسلم، فنزل شريح بقناة وقال:

ألا يا صاحبيّ ببطن وجّ ... روادف لا أرى لكم مقاما

ألا تريان أم الغمر أمست ... قريبا لا أطيق لها كلاما

فجعل بطن قناة بطن وج لأن السيل يأتي منه. وقال المدائني: قناة واد يأتي من الطائف، ويصب في الأرخصية وقرقرة الكدر، ثم يأتي بئر معاوية، ثم يمر على طرق القدوم في أصل قبور الشهداء بأحد. وقال ابن زبالة: إن سيول قناة إذا استجمعت تأتي من الطائف، قالوا: ومحول أودية العرب قناة واضم، أي اللاتي في مجتمع السيول ووادي نخلة، وإنما سميت محولا لبعد صدورها وكثرة دوافعها. ابن الضياء (بهاء الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي، ت ٨٥٤هـ) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

نار الحجاز، وقد انقطع هذا الوادي بسبب ذلك، وانحبس السيل حتى صار بحرًا مدّ البصر عرضا وطولا، قال المطري: "شاهدته كذلك سنة ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦م، وتقدم أنه انخرق من تحته سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، فجرى الوادي سنة، فملأ ما بين الجانبين، وسنة أخرى دون ذلك، ثم انخرق بعد سنة٧٠٠هـ / ١٣٠٠م فجرى سنة، ثم انخرق سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م بعد تواتر الأمطار، فكثر الماء وجاء سيل لا يوصف كثرة، أخذ كما ذكر" الجمال وعشرين فرسا وخرب أماكن(١).

ومجراه على مشهد سيدنا حمزة -رضي الله عنه- وحفر واديا آخر قبلي الوادي والمشهد. وقبلي جبل عينين في وسط السيل، ومكثا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة، ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل إلى المدينة، ثم استقر في الواديين القبلي والشمالي قريبا من سنة، وكشف عن عين قديمة قبلي الوادي جدّدها الأمير ودي، وهذا الوادي هو المراد بقوله في حديث الاستنشاق من رواية الصحيح "وسال وادي قناة شهرا" وينتهي سيل قناة إلى مجتمع السيول ترعا أيضا(٢).

=

نصر، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ص٢٨٧؛ السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص٢١٢.

(١) اليافعي، عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليمني: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣٧هـ، ج٤، ص٢٩١.

(٢) ابن الضياء: المصدر السابق، ص٢٨٧؛ السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص٢١٢؛ اليافعي: المصدر السابق ، ج٤، ص٢٩١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويلحظ أنه رغم كثرة السيول على النحو الذي ذكرناه فإن الإدارة كانت متقاعسة في علاج هذه الأمور، ويؤكد ذلك تكرارها خلال العصر المملوكي.

- **الجراد:**

كان للجراد تأثير على الأوضاع السكانية والنشاط الزراعي في المدينة وما حولها، فقد عقب سيل سنة٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م جراد عظيم صار له دوي كالرعد، فأتلف التمر وجريد النخل وغيره من المزارع(١)، كما حدث في سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م وصول جَراد عَظِيم أتلف التَّمْر والنّخل والْمَزَارِع(٢).

وازدادت الأزمة الاقتصادية سوءاً بالمدينة المنورة سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م لأن الجراد أكل أغلب الثمار، كما تغيرت أحوال الناس مما أصابها شدة من الخوف والنهب، وارتفاع الأسعار فبلغ صاع(٣) القمح ثمانية عشر درهماً(٤).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٧.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص١٩٩، ٢٠٠.

(٣) الصاع: مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد. الجليلي، محمود: المكاييل والأوزان والنقود العربية، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٠٠.

(٤) الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي، ت٧٣٨هـ: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٧٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي سنة٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م أدى وصول أعداد كبيرة من الجراد إلى المدينة إلى إتلاف أشجارها ومحاصيلها الزراعية، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من أهلها، ووفاة الكثيرين وخاصة الفقراء منهم جوعا وعطشا(١) فانخفض عدد سكان المدينة في تلك الفترة نتيجة لذلك.

- **البراكين:**

أما البراكين التي أصابت المدينة في بعض أعوامها(٢) فكان لها تأثيرها السلبي في أوضاعها السكانية والاقتصادية، غير أن لتلك البراكين أثرها الإيجابي أيضا في التربة الزراعية، حيث أسهمت في زيادة خصوبتها، ومن أبرز تلك البراكين البركان الذي وقع في المدينة المنورة سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م وقد أسهب المؤرخون في الحديث عنه، وعن آثاره الاقتصادية والاجتماعية. وينقل أبو شامة عن قاضي المدينة، شمس الدين سنان بن عبد الوهاب، أنه "ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م في شرقي المدينة نار عظيمة(٣) حيث انبجست الأَرْض

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٤، ص ٦٣٣ .

(٢) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، جـ١،ص١٤٢.١٥٠.

(٣) البكري، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم الصديقي، ت ١٠٥٧هـ: نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف – سلسلة لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، اعتنى به: محمد أبو بكر عبد الله باذيب، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م، ص٤٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بِنَار عَظِيمَة فِي وَاد يُقَال لَهُ: أخيلين بَينه وَبَين الْمَدِينَة أربعة فراسخ(١)، واحترق المسجد النبوي، ابتدأ حريقه من زاويته الغربية من الشمال(٢). "وقد استمر ثوران البركان مدة ثلاثة شهور، كما رواه المؤرخون يسكن مرة، ويثور أخرى، حتى همدت ناره نهائيًّا وقد زحفت نار البركان متسنمة ظهر الحرة الشرقية للمدينة، حتى وصلت إلى جبل وعيرة واستمر

(١) الفرسخ ٦ كم أي تقدر المسافة بـ٢٤ كم أبو البركات السويدي (عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي، ت١١٧٤هـ):النفحة المسكية في الرحلة المكية، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٤ هـ، ص٤٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٨؛ ا بن كثير: معجزات النبي - ﷺ- (من كتاب البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق وتعليق: السيد إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، ص٣٧٢؛ العصامي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، ١١١١هـ: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج٣، ص٥١٧. وَذَلِكَ من معجزاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اليافعي فِي تَارِيخه وَهَذِه النَّار هِيَ الَّتِي ذكرهَا رَسُول الله -ﷺ-: «لا تقوم السّاعة حتّى تظهر نار بالحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى» أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢) من حديث أبي هريرة. أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ج٣٥، ص٢١٧؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٤، ص٢٢٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

زحفها عبر وادي قناة (سيدنا حمزة) محاذية جبل أحد من شرقه إلى أن قربت من حرة العريض فانطفأت(١).

وظن أهل المدينة أنها القيامة. وكانت النار تدب دبيب النمل إلى جهة الشمال، تأكل ما أتت عليه من أحجار وجبال، وكانت تذيب وتسبك ما مرّت عليه من الجبال، فسدّت وادي شظاه بالحجر المسبوك بالنّار سدّا، وحجز الماء خلفه، فصار بحرا مدّ البصر طولاً وعرضاً، كأنه نيل مصر عند زيادته. ثم خرقه الماء سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، فجرى الماء من الخرق سنة كاملة، يملأ ما بين جنبتي الوادي، ثم انسدّ(٢) قال القسطلاني: وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوي والأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق، وما اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة، وكان عليها إحدى عشر ستارة، ثم ذكر القطب حكما لذلك وأسرارا ككون تلك الزخارف لم يرضاها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ،

(١) علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٢.

(٢) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري، ت ١٠٨٩هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٧، ص٤٥٤؛ ابن كثير: معجزات النبي -ﷺ- (من كتاب البداية والنهاية لابن كثير)، ص٣٧٢؛ العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله؛ لكونها بوسط صحن المسجد، وببركة المصحف الشريف العثماني -نسبة إلى عثمان بن عفان ﷺ- وعدة صناديق كبار(١).

ومن آثار نيران البركان أنه قد تاب جميع أهلها، ولا بقي تسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب" (٢).

- **الزلازل**

تعتبر الزلازل من أخطر الأزمات الطبيعية التي تحل بالأرض، وتخلف وراءها دماراً شاملاً، يلحق الضرر بكل من الطبيعة والإنسان والبنيان العمراني، ففي ليلة الجمعة أول رمضان٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ظهر بِالْمَدِينَةِ دوِي عَظِيم، ثمَّ زلازل رجفت مِنْهَا الْمَدِينَة والحيطان، وَكَانَ بَين الْيَوْم وَاللَّيْلَة أَرْبَعَة عشر زلزالًا، واضطرب الْمِنْبَر إِلَى أَن سمع مِنْهُ صَوت الْحَدِيد، واضطربت(٣) قناديل المسْجِد، وَسمع لسقف المسْجِد صرير،

(١) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٨٣؛ الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن، ت٩٦٦هـ: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بيروت، دار صادر، ٢، ج٢، ص٣٧٥.

(٢) البكري الصديقي: نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف -سلسلة لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، ص٤٧.

(٣) ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص٢٨٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

واستمرت الهزات الأرضية إِلَى ضحى يَوْم الْجُمُعَة(١). ونتج عن هذا الزلزال تدمير البنيان العمراني في المدينة المنورة.

- **الأوبئة والأمراض**

وقع بالمدينة المنورة وباء عظيم سنة٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م، وكان يعرف بمرض الخوانيق(٢)، فكان يموت بسببه من أهل المدينة في كل يوم خمسة عشر إنسانًا(٣).

وفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م وقع وباء عظيم بالمدينة المنورة، وكان هذا الوباء عاماً في جميع بلاد المسلمين، وفي ديار مصر أشد وأعظم، فأثر هذا الوباء على الحياة الاقتصادية للمدينة المنورة، فارتفعت الأسعار وبلغ أردب الحنطة ثلاثمائة درهم وغرارة(٤) الذرة مائة درهم، وبلغت

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٨؛ ابن كثير: معجزات النبي ﷺ، ص٣٧٢؛ العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٧.

(٢) الخوانيق: جمع خَناق وهو داء ففي معجم المنصوري: خوانق جمع خانقة وهي ورم يكون في الحلق وربما قتل. دُوزِي، رينهارت بيتر آن، ت١٣٠٠هـ): تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، ط١، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، من ١٩٧٩-٢٠٠٠ م، ج٤، ص٢٢٦.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ص١٩٠.

(٤) الغرارة: مكيال دمشقي للحنطة يماثل الردب المصري باعتماده كأساس لكيل الغلال، وهي تعادل ثلاثة أرادب مصرية، وتعادل الـ ٥ , ٢٠٤كيلوجرام قمح أو حوالى ٢٦٥ لترا =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبية[١] الدقيق في الموسم ستة وأربعين درهماً ووبية الشعير سبعين درهماً، وفي هذه السنة ارتفعت أسعار جميع أصناف الغذاء[٢].

وفي سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م حل وباء عام في المدينة المنورة وسائر بلاد الحجاز ابتدأ من نصف ذي الحجة، واستمر الى آخر شهر ربيع الآخر هلك فيه أكثر من ألفي إنسان[٣] .

ومن أهم الأثار السلبية والأضرار التي ترتبت على الأزمات:

الخسائر البشرية في الأنفس:

تسببت الأزمات في كثير من الأضرار والابتلاءات التي ألمت بأهل المدينة فالطاعون الذي وقع سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م تسبب في موت أبي اليمن، عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الحسن الجلال الزرندي المدني الشافعي[٤].

=

بوصفها مكيالا. هنتسن فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمة كامل العسلي، عمان، الجامعة الاردنية،١٩٧٠م، ص٦٤.

(١) الوبية: اثنان وعشرون أو اربعة وعشرون مُدا. الجليلي، محمود: المرجع السابق، ص١١٥.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣٣٠.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٢١٠، ٢١١.

(٤) أبو اليمن: حفظ القرآن والعمدة والشاطبية والتقريب في علوم الحديث للنووي والتنبيه والحاوي، وعقيدة الشيخ أبي إسحاق، والدرة المضيئة والرسالة القدسية للغزالي، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتسببت الصاعقة التي احترق بنارها المسجد النبوي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨٢م في موت الإمام العلّامة شمس الدّين أحمد بن موسى الشهير بالخيالي الحنفي(١).

كما تسبب الحريق نفسه في موت رئيس المؤذنين شمس الدين بن الخطيب كان يؤذن في المنارة الشرقية الجنوبية وبرق البرق وهدر الرعد القاصف وسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة الرئيسية، فسقط شرقي المسجد له لهب وانشق رأس المنارة، وتوفى المؤذن صعقا(٢).

=

والمنهاج الأصلي والفصيح في اللغة والمقصورة لابن دريد والمقامات للحريري، والحاجبية في النحو، والشريف والعروض لابن الحاجب، وتلخيص المفتاح والفصول للنسفي، والجمل للخونجي، وعرضها في سنة٧٣٨هـ / ١٣٣٧م على عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر الحلبي بن العجمي، وكتب له الإجازة بخط حسن وأجاز له وألبسه خرقة. قال ابن فرحون: وقرأ كل العلوم المتداولة بين الناس وحفظ اثني عشر كتابا في فنون متعددة وسافر به والده إلى دمشق فرأس وبرع واشتهر، وولي الوظائف الجليلة ثم ماتا جميعا في الطاعون سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م.السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، ص١٧، ١٨.

(١) شمس الدّين أحمد: قرأ على أبيه، وعلى خضر بك، وهو مدرّس بسلطانية برسا، ومهر، وبرع، وفاق أقرانه، وسلك طريق الصوفية، وتلقّن الذكر، وله "حواش على شرح العقائد النّسفية" تمتحن بها الأذكياء لدقتها، و"حواش على أوائل حاشية التجريد" و"شرح لنظم العقائد" لأستاذه المولى خضر بك أجاد فيه كل الإجادة، وغير ذلك من الحواشي والتعاليق. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٩، ص٥١٥.

(٢) علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص٣٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومات في هذا الحريق أيضا عبد الْغَنِيّ بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن ظهيرة بن أَحْمد بْن عَطِيَّة بن ظهيرة الْقرشِي الزبيدِيّ الْمَكِّيّ الشَّافِعِي بوسط الْمَسْجِد النَّبَوِيّ(١).

وأُصِيب فِي هذا الْحَرِيق خشكلدي نَائِب المشيخة بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة(٢) وشند الطواشي / أحد خدام الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة(٣). وأحصي من مات في حريق٨٨٦هـ/ ١٤٨٢م فكان أكثر من عشرة أنفس(٤).

الخسائر المادية والعلمية:

وتسبب حريق٨٨٦هـ/ ١٤٨٢م في تدمير سقف المسجد النبوي، وما في المسجد من مستودعات وخزائن وكتب وربعات ومصاحف، كما احترق المنبر الشريف والمحراب وأبواب المسجد، وتطاير الشرر على البيوت

(١) عبد الْغَنِيّ: ولد سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م بزبيد وَأمه من أَهلهَا وَتردد مِنْهَا لمَكَّة، ثمَّ قطنها من بعد الْخمسين وَكَانَ قد حفظ الْقُرْآن، ويسيرا من التَّنْبِيه، وَأَجَازَ لَهُ فِي سنة سِتّ وَثَلَاثِينَ شَيخنَا والبدر الْحلَبِي والعيني والمقريزي والواسطي والزين الزَّرْكَشِيّ والقباني والتدمري وَآخَرُونَ، وَكَانَ سَاكِنا لكنه تولع بشجر الافيون وَظهر عَلَيْهِ كثيرا، وفجع بِولد لَهُ كَانَ ذكيا وَتردد لمصر وزار الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة وجاور بهَا قبيل مَوته فقدرت وَفَاته بهَا شَهِيدا فِي الْحَرِيق الْكَائِن بهَا فِي رَمَضَان سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨٢م، وَصلى عَلَيْهِ بِهِ ثمَّ دفن بِالبَقِيعِ. السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص٢٥١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٧.

(٤) علي حافظ: المرجع السابق، ص٣٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المجاورة للمسجد، وذعر من فيها وتركوها فارين، وعلقت النار في السقف الذي قرب الحجرة الشريفة وذاب الرصاص من القبة واحترقت أخشابها كما احترق الشباك الدائر على الحاجز، الذي بناه عمر ابن عبد العزيز وسقط من ذلك على القبة السفلى(١).

ومن الخسائر العلمية حريق الكتب ومنها حريق كتاب "اقتضاء الوفاء بأخبار المصطفى" (٢) ويطلق عليه معظم المؤرخين: "اقتفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى"(٣) لمؤرخ المدينة نور الدين علي السمهودي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)(٤) وهو كتاب حافل لخص فيه السمهودي ما أمكنه

(١) المرجع نفسه، ص٣٤.

(٢) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص٣٤.٣٥.

(٣) السمهودي: خلاصة الوفاء، ج١، ١٥، ١٦؛ العيدروسي: النور السافر، ص٩٦، ٩٧.

(٤) للسمهودي تآليف كثيرة وتصانيف شهيرة. وقد ترجمه الحافظ السخاوي بنحو كراس. وكان صاحب ثروة عظيمة. واشترى عدة من العقارات من بيوت ونخيل منها الدار الكبرى التي بقرب باب الرحمة، والحديقة السمهودية بخط الصاغة، والدار التي تحت المنارة السليمانية. وقد استبدلت بدارهم في سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م واستبدلها محمد جلبي القمقمجي، والحديقة المعروفة بالأخوين، والمزرعة المعروفة بالشقيفات، والمزرعة المعروفة بالسمهودية وغير ذلك. وقد أوقف جميع هذه العقارات المسطورة على ثلاثة أشخاص من السماهدة، كبير ووسط وصغير. وتوفي السيد المذكور سنة ٩١١. عن غير ولد. وورثه إخوانه في سمهود. الأنصاري، عبد الرحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني، =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوقوف عليه من تاريخ المدينة ومعالمها وأخبارها، لكنه احترق قبل أن تراه عين، وذلك في حريق المسجد النبوي سنة(٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)(١).

=

ت١١٩٥هـ: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العرويسي المطوي، ط١، تونس، المكتبة العتيقة، ١٣٩٠ هـ-١٩٧٠م، ص٢٧١، ٢٧٢.

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج٤، ص١٤٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني:
دور المجتمع في مواجهة الأزمات

١. دور السلاطين في مواجهة وعلاج الأزمات السياسية:

كانت حدة الصراعات بين أمراء المدينة قد أدت إلى إضعاف مركز المدينة السياسي في مواجهة القوى المحلية، لذلك لم يقف السلاطين موقفاً محايداً، بل تدخلت الدولة في شؤون أشراف المدينة بإصدار قرارات العزل والتعيين(١). وذلك منذ عام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م في عهد السلطان بيبرس، والذي بدأ بتعيين أمير المدينة، وصار منذ ذلك الوقت تعيين أمير المدينة وعزله بيد السلطان المملوكي خلال فترة الدراسة، وبموافقة الأسرة الحسينية، التي كانت متماسكة إلى حد كبير مع بداية الحكم المملوكي، وما لبث أن دب الخلاف بينها، وتحول إلى صراع على السلطة، فصارت مراسيم التعيين تصدر دون مشورتهم غالبًا من قبل السلاطين المتعاقبين.

كما قام السلاطين بإصدار بعض القرارات والأوامر السياسية بهدف القضاء على الأزمات المختلفة. ففي سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م تنازل جماز عن الإمارة لابنه منصور، الذي استلمها في ظل صراع مع إخوته الآخرين وتفاقم الصراع بدخول أهل المدينة طرفاً فيه، مما أدى إلى القبض

(١) المديرس، المرجع السابق، ص ٤٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على منصور وابنه كبيش من قبل السلطان المملوكي الناصر قلاوون، وأحضرا إلى مصر، ثم أعيدا إلى المدينة، واستقرت الأمور لمنصور سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م[١].

وفي فتنة مقتل الأمير جماز سنة ٨١٢هـ/ ١٤١٠م[٢]، استعان السلطان جقمق ببعض القبائل[٣] بهدف حماية أهل السنة في المدينة من الرافضة[٤].

ولعل من أبرز مظاهر هذه الحلول اللجوء إلى التفويض في إدارة شؤون المدينة ومن الأمثلة على ذلك عندما كثرت الاضطرابات في إمارة المدينة، تدخل شريف مكة حسن بن عجلان -الذي أصبح بتفويض من السلطان المملوكي نائبًا للسلطنة في الحجاز- في الصراع القائم في المدينة، حيث عمل على تعيين عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم العلوي الحسيني المنصوري أخو ثابت أمير المدينة، ووالد موزة زوج الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة، ولما فوض إليه أمر المدينة

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٤، ص١٩٥؛ المديرس، المرجع نفسه، ص ٣٢-٣٣.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص٤٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٨.

(٤) العيني: بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٥٨٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

استدعي به إلى مكة، وفوضها إليه سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م وأمدّه بعسكر مع ولده السيد أحمد بن حسن، وتوجه عجلان إلى جماز بن هبه بجنده على طريق الشرق، لكن جماز تمكن من الفرار قبل دخول العسكرين بأيام وتبعه طائفة من العسكر فلم يدركوه، ودام معزولاً حتى قتله بعض الأعراب في جمادى الآخرة سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م(١).

كما فوض السلطان المملوكي قايتباي في سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، أمير مكة الشريف محمد بن بركات التدخل فيها، فأرسل شريف مكة جيشاً لحفظ الأمن بصحبة فارس بن شامان بن زهير وعينه نائباً عنه في المدينة، وفي شهر رجب سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م قام الشريف بركات بن محمد بن بركات بأمر من السلطان المملوكي بتعيين الشريف ثابت بن ضيغم بن خشرم ابن نجاد أميراً على المدينة، واستمر في منصبه حتى نهاية العصر المملوكي سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م(٢)، ومن وقتها صارت المدينة تابعة لأمير مكة، وصار اسمه يذكر في الخطبة والدعاء بعد السلطان وقبل أمير المدينة (٣).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،ج١،ص٢٥٥،٢٥٤.

(٢) المديرس، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٣) المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، ت١١١١هـ: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج٤، ص٢٩١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتدخل سلاطين الدولة المملوكية لتخفيف الصراعات السياسية في المدينة بإصدار قرارات بالعزل والتعيين لأمراء المدينة. ففي سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م أفرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن الشريف منصور بن جماز أمير المدينة، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب إلى القاهرة، فأعيد إلى ولايته بعد عزل أخيه ودي بن جماز، وأرسل بصحبة منصور أحد قادة المماليك ويدعى عز الدين أيدمر الكوندكي(١)، ويفهم من إرسال القائد المملوكي بصحبته دعم سلطة أمير المدينة، وتوطيد النفوذ المملوكي بها. لقد عاد ودي بن جماز لدخول المدينة مستغلا غياب أميرها كبيش بن منصور سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م ففر منها نائبه طفيل بن منصور، وتوجه إلى القاهرة وقدمها في ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م وأخبر السلطان المملوكي بما حدث، فقرر السلطان تجريد حملة لإعادة كبيش، غير أن أميرها استطاع العودة وطرد الشريف ودي منها(٢).

وأصدر السلطان المملوكي محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م أمرًا بتقليد طفيل بن منصور خلفًا لأخيه كبيش، الذي قتل في تلك السنة، إلا أن السلطان ما لبث أن عزله سنة٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، وقلد الإمارة

(١) ابن حجر، الدرر، ج٥، ص١٣٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٧٥.

(٢) تولى كبيش بن منصور إمرة المدينة بين (٧٢٥-٧٢٨هـ) ابن حجر، الدرر، ج٣، ص٣٤٨؛ السخاوي: التحفة، ج٣، ص٤٢٦-٤٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لودي بن جماز[١] وبعد وفاة ودي سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م هاجم طفيل بن منصور المدينة واستولى عليها، وبعث أخاه جماز إلى مصر، مما اضطر السلطنة المملوكية لإقراره على إمارة المدينة، وإرسال التقليد إليه، غير أنه ما لبث أن عزل سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩م، وعين مكانه ابن عمه سعد بن ثابت ابن جماز، فانتقم طفيل بأن هاجم المدينة ونهب ما كان بها من بضائع وأمتعة للحجاج، فأمر السلطان ناصر الدين حسن قلاوون[٢] بالقبض عليه سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م ونقل إلى القاهرة، حيث سجن حتى وفاته سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م[٣].

ومثلما حدث لعجلان فقد وصله توقيع من السلطان المملوكي بإمرتها بعد وفاة أخيه ثابت بشرط رضى الشريف حسن بن عجلان، ثم عُزل في العشر الأخير من ذي القعدة سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م لمحاربة آل جماز ابن هبة له، وهجومهم على المدينة، ثم أعيد عجلان بعد عزل غرير ودخلها في ذي الحجة سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م ثم عزل بغرير في سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، ثم أعيد بعد القبض على غرير أيضا، واستمر حتى عزل في آخر سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م[٤]. وذلك في محاولة لفض النزاعات السياسية.

(١) ابن حجر، الدرر، ج٥، ص ١٨٠،١٨١.
(٢) استانلي لين بول: الدول الإسلامية، ج١، ص١٧٣.
(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، ص٢٥٩.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٤، ٢٥٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هكذا كان سلاطين المماليك يراقبون أعمال الأمراء مراقبة عامة، ويستمعون للشكاوى المرفوعة ضدهم، ويستجيبون لها غالبًا، فيعزلون الأمير إذا كثر التظلم منه، وقد أسهم هذا الحزم في إنهاء عدة حالات من الاضطرابات والظلم، وكان السلاطين يظهرون التقدير والاحترام الكبيرين لأمراء المدينة ووجهاء أهلها؛ لمكانة المدينة في نفوسهم، وللنسب الكريم الذي يحمله أحفاد آل البيت، ولكن عندما كانوا يسيئون التصرف كانوا لا يترددون في القبض عليهم وسجنهم، وتعيين أفراد آخرين من الأسرة نفسها. كما تمثل علاج الأزمات السياسية من قبل السلاطين في قيامهم بإرسال حاميات وقوات عسكرية لمكة والمدينة بهدف تأمين طرق الحج والقوافل من مصر والشام للحجاز، وحماية قوافل الحج، وقمع محاولات أشراف الحجاز الخروج عن سلطة الدولة المملوكية، وإحلال الأمن والاستقرار في البلاد، كما كان قادة العسكر عيونا للسلطنة المملوكية، وقد استخدم المماليك أشراف الحجاز بعضهم ضد بعض طمعا في تدعيم السلطة المركزية في الحجاز، ففي سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م بادر السلطان المملوكي المنصور قلاوون بدعم أمير المدينة جماز بن شيحة بقوة عسكرية ضد أمير مكة الشريف أبي نمي ،الذي لم يكن على وفاق مع السلطنة المملوكية حيث كان يسلك سياسته الخاصة التي لا تتفق بالضرورة مع مصالح الدولة المملوكية، وقد استطاعت تلك القوة المشتركة دخول مكة، واستقر الأمر فيها لأمير المدينة جماز بعد خروج

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أميرها، إلا أن جماز ما لبث أن ترك مكة بعد عدة أشهر حين بلغته مراسلة قائد العسكر المملوكي المرابط بمكة للشريف أبي نمي سراً فخشي على حياته وانسحب منها(١).

وهذا يؤكد أن سلاطين المماليك كان هدفهم الأساس تأديب الشريف أبي نمي وإعادته إلى بيت الطاعة المملوكية دون انتزاع السلطة منه، ومن ثم كان حماية مصالحهم هو هدفهم الأساس في سياستهم تجاه أمراء مكة والمدينة.

كما قام السلاطين بنصرة أصحاب الحق عندما يصلون إلى القاهرة للشكوى في محاولة لمواجهة التردي الأمني، مثلما حدث عندما قُتل محمد الكمال أبو الفضل المراغي(ت٧٤٣هـ/ ١٤٣٩م) على يد شريف رافضي بسبب مطالبته له بدين لشخص توفى وأوصى المراغي أن يحصل ذلك الدين، فماطل في ذلك، فلما ضيق المراغي عليه قتله الشريف، وكان سليمان(٢) أمير المدينة غائبًا، وانتشر الخوف بين أهل المدينة، فخرج نائبه

(١) ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص٢١٤؛ الفاسي، العقد، ج١، ص٤٦١، ٤٦٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٦، ص١٠.

(٢) سليمان بن عزيز بن هيازع بن هبة بن جماز الحسيني، تولى إمارة المدينة سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) واستمر في الولاية إلى أن مات(٨٤٦هـ/١٤٤٢م). السخاوي: التحفة، ج١، ص٤٢١؛ عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص٣٠٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حيدرة[١] وراء القاتل فلم يتمكن منه، فسافر أخو المراغي ناصر الدين أبو الفرج إلى القاهرة ليأتي بالنصرة من السلطان المملوكي، فلم يخذله السلطان جقمق، وأعد له جيشًا عالي التكلفة حيث بلغ تجهيزه(٣٠٠٠) دينار، وكان ذلك بصحبة أحد الأمراء، وسلكوا طريق البحر، وبقي الجند مع أميره مدة سنتين، واستطاعوا أن يمسكوا بجماعة من انصار الشريف، ولكنهم لم يظفروا بالقاتل، وبقي الجيش دعمًا لأهل السنة، واستطاع أن يردع الآخرين عن تكرار مثل هذا الفعل[٢].

ولا شك أن الحياة السياسية تثير مشاعر متباينة في نفس من يتتبعها، فالنسبة الكبيرة منها تحمل صراعات على السلطة، تستعر فيها الرغبات الشخصية والأهواء، وتتجاوز أحيانًا ضوابط الشرع والأخلاق، وتفسد العلاقة بين الأهل والأقارب، بل وفي الأسرة الواحدة أحيانًا؛ فيحارب الرجل قريبه، وقد تسفك دماء بريئة أصابتها شظايا الصراع من هنا أو هناك، ويدهش المرء لذلك كله، وتسوء نظرته لأولئك الأقوام وذلك التاريخ. غير أن هذه الصورة -على واقعيتها- لا تمثل الحقيقة

(١) حيدرة بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز بن شيخة، ناب على المدينة سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م عن أميرها سليمان بن عبد عزيز، ثم استقل على المارة بعد موته، توفي ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م. ابن تغردي بردي: النجوم الزاهرة، ج٥١، ص٢٠٢.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٤٥٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشاملة؛ فالصراع على الإمارة كان محصورًا -في الغالب- ضمن عدد محدود من الأفراد داخل الأسرة الحسينية، يدور بين إخوة أو أبناء عم، ويشارك فيه رجالهم ليس غير، أما بقية الأسرة الحسينية فكانت تعيش حياتها العادية بهدوء واستقرار، وكان عدد كبير منهم يهتم بالعلم، ويشارك في حلقات التدريس، وكذلك بقية أهل المدينة والمجاورون فيها ؛ كانوا بعيدين كل البعد عن هذه الصراعات، يعيشون حياتهم اليومية في متاجرهم ومزارعهم وحلقات العلم في المسجد النبوي، والمدارس، والأربطة، والزوايا المنتشرة حوله، وما لم تحدث غارة على المدينة؛ لم يكونوا يشعرون بهذا الصراع أو يتأثرون به، وعندما تحدث غارة من أحد المتنافسين على السلطة كانت الأحوال تضطرب لفترة قد لا تطول أكثر من ساعات، يتمكن فيها المغيرون من الاستيلاء على الإمارة، أو يتمكن رجال الإمارة من طردهم، ثم ينتهي الأمر، وتعود الحياة إلى مجراها الطبيعي. والأحداث التي يستهولها المرء وهو يقرؤها في كتب التاريخ لو جئنا نعدها لوجدناها معدودة، فإذا وضعناها في إطارها الزمني ظهرت على شكل نتوءات قليلة في سهل واسع ممتد، ووجود هذا القدر المحدود من السلبيات لا يجوز أن ينسينا بقية الزمن الطويل الذي خلا منها، وكانت الحياة عادية.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويتضح من ذلك أن سياسة السلطنة المملوكية تجاه المدينة كان هدفها دعم الاستقرار فيها من خلال دعم أمرائها بالقوة العسكرية مما مكنها من قمع معارضيها.

٢. دور السلاطين في مواجهة الأزمات الاقتصادية:

ففي سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) أبطل السلطان الناصر محمد بن قلاوون المكوس -التي كانت تفرض في مكة والمدينة- بسبب كثرة شكاوي الحجاج منها، وعوض أمير مكة والمدينة بإقطاعات في الشام ومصر، وبالنسبة إلى إقطاعاتهم في مصر فقد كان مقدار قيمة إقطاع أمير المدينة(١) خمسة آلاف وأربعمائة وثلاثة وثلاثين دينارًا، أما أمير مكة الشريف عطيفة بن أبي نمي فقد كان مقداره من هذا الإقطاع هو ست آلاف وخمسمائة دينار حبشي(٢).

(١) هو الأمير منصور بن عز الدين جماز الذي تولى إمرتها بعد موت والده سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٥٠م) وقد ظل في صراع مع إخوته على السلطة بسبب تفضيل والده له، وقد أدى هذا الصراع إلى تدخل السلطان الناصر محمد بن قلاوون وعزله من الحكم ثم أعاده مرة أخرى حتى كانت نهايته على يد ابن أخيه حريقة بن قاسم في سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م). المديرس، المرجع السابق، ص٣١-٣٣.

(٢) ابن الجيعان: التحفة السنية، ص١٩٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعندما كانت بلاد الحرمين تشكو من أزمة اقتصادية حادة في سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م توجه حاكمها عطيفة(١) إلى مصر يشكو القحط والجفاف والجوع، فأرسل الناصر محمد بن قلاوون بالغلال، لإنقاذ أهلها وتحسين مستوى المعيشة لهم، فرخصت الأسعار وصار يباع أردب القمح بمائة درهم، فساد الرخاء في المدينة في الوقت الذي قل فيه إنتاج أرضها(٢).

وعندما حلت الأزمة الاقتصادية سنة٧٩٣هـ / ١٣٩٠م بالمدينة أرسل الملك الظاهر برقوق كمية من القمح لإنقاذ أهلها من هذه الأزمة(٣). وفي عهد الأشرف قايتباي تدفقت أعداد كبيرة من المؤن إلى المدينة المنورة في سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م ونتج عن ذلك عموم الرخاء ورخص الأسعار، حتى بلغ كل خمسة أرادب قمح بدينار(٤). وفي سلطة قانصوه الغوري أرسل إلى المدينة المنورة مراكب محملة بالقمح من مصر

(١) عطيفة بن أبي نمي بن محمد بن الحسن بن علي الحسني ، من أمراء مكة ولاه بيبرس أبو شنكير سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م، وعزله سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م، وأعيد سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م واستمر إلى سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م فقبض عليه وحمل، فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٦، ص٩٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٣٧.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص١٩٤؛ ابن فهد: اتحاف الورى،ج٣،ص١٧٥.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣٣١.

(٤) ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، ت٩٣٠هـ: بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٦٠م، ج٢، ص٥٨٦

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سنة٩١٢هـ/ ١٥٠٦م[١]. وهو ما يؤكد أن السلاطين قاموا بدور كبير في خدمة المدينة النبوية.

ولعل أكبر من أسهم في رفع معاناة الناس في تلك الأزمات هي الأوقاف الشرعية، حيث كان لها دورها الكبير في مساعدة المحتاجين من الناس، ولقد ازدهرت الأوقاف في العصر المملوكي، نظراً للشعور الديني لدى المماليك والتنافس بين السلاطين والأمراء على إقامة الأوقاف[٢]، نتيجة للحالة الاقتصادية الجيدة التي يعيشها السلاطين والأمراء[٣].

وقد تعددت أوجه البر التي تصرف فيها الأوقاف، ولعل منها خلاص المسجونين، ووفاء دين المدينين، وفكاك أسرى المسلمين وتجهيز الطرحاء من أموات المسلمين وإطعام الطعام والعميان وأرباب العاهات، وذوي الحاجات من أرباب البيوت، ومداواة المرضى، وكسوة العرايا، والضعفاء، والعاجزين في الشتاء والصيف، والعطف على الأطفال عند فقد أمهاتهم أو عجزهن عن إرضاعهن[٤]. ولاشك أن هذه الأوقاف تسهم من التخفيف من أزمات هؤلاء السابق ذكرهم..

(١) المصدر نفسه،ج٢، ص٧٤٧، ٧٤٨.

(٢) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية، ص٧٢، ٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٢، ٧٣.

(٤) المرجع نفسه ،ص١٣٣.١٣٥

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما كانت قوة الشعور الديني لدى سلاطين المماليك وأمرائهم وأعيانهم حافزا على إنفاقهم على مصالح الحرمين الشريفين وأهلهما(١)، وتمثل هذا الإنفاق في الهبات والأعطيات والصدقات، كما تمثل في الأوقاف الحكمية التي وسعت ضمن أوجه صرفها كل وجوه البر والإحسان على من بالمدينتين المقدستين، وذلك رغبة في عمل الخير واكتساب مثوبة الله(٢) وحرصا على محبة الناس ودعائهم لهم بالأجر والثواب، هذا بالإضافة إلى التخفيف عن الناس وخاصة في سنوات الجفاف التي تعز فيها الأقوات ويعم الغلاء، وكان هذا الإنفاق أيا كان قدره أو وجهة صرفه، مرتبطا في أدائه أو منعه، بارتفاع وانخفاض منسوب مياه النيل، الذي يترتب عليه انخفاض أو ارتفاع الأسعار في كل من مصر والمدينتين المقدستين.

(١) كان وقف الدشيشة من الأوقاف التي أقامها السلاطين المماليك ليصرف ريعها على الحرمين الشريفين، أوقفه السلطان المملوكي جقمق، ثم أضاف إليه السلطان قايتباي فصار يُعرف بالدشيشة الكبرى، كما شمل وقف الدشيشة لاحقا أوقاف السلطان الغوري، وكانت الدشيشة تصرف لأهالي الحرمين، وكان النظر في توزيعها يكون موكولا لأحد العلماء الثقات. بيومي، محمد فهيم: مخصصات الحرمين،ص٦٥. ٦٦؛ الرشيدي: أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٨٠، ص٢٢.

(٢) محمد عثمان الخطيب: الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي، دار الكتاب الثقافي، ص١٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن ثم فقد أسهمت هذه الأوقاف بريعها الوفير في مساعدة المتضررين، وقد أدت النفقات الدينية دورها لتحقيق هذه الغايات في المدينة المقدسة، وتمثلت هذه النفقات في الصدقات والأعطيات والمعونات، التي كانت ترسل إلى المدينة ومكة في أوقات الأزمات والمجاعات(١) بطريقة غير منتظمة.

كما أسهمت الأوقاف في ترميم العيون وتجديدها بعد السيول كنوع من أنواع تخفيف الأزمات، وممن كان معنيا بذلك السلطان الأشرف قايتباي، الذي أجرى ترميما في العين الزرقاء بالمدينة على يد الخواجا شمس الدين بن الزمن، كما باشر المدينة النبوية سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م عمارة وترميم سائر منشآت السلطان قايتباي، ومات سنة٨٩٧هـ/ ١٤٩١م(٢).

كما ساهمت الأوقاف إسهاماً كبيرًا في الرعاية الصحية وتوفير الخدمات الصحية لمختلف فئات الناس خاصة في أوقات الأوبئة (٣).

هذا وقد تزايدت ثقة السلطان قايتباي في السمهودي فولاه الإشراف على الأموال والصدقات والهبات التي كانت ترسل من قبل

(١) الفاسي: شفاء الغرام، جـ٢، ص٢٧١، العقد الثمين، جـ٦، ص٩٣ .

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٤٣٩

(٣) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص١٧٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السلطان قايتباي نفسه ومن غيره من الملوك، في وقت الأزمات كالأمير داود بن عيسى بن عمر شيخ هوارة(١).

وبالتالي أسهمت الأوقاف في التخفيف من شدة الأزمات الاقتصادية وحدة كثير من المجاعات التي حدثت في المدينة المنورة نتيجة للأزمات، بما توفره من دخول ومرتبات تصرف لمستحقيها ممن وقفت عليهم تلك الأوقاف.

٣. دور السلاطين في مواجهة الأزمات الطبيعية:

وكما وقف السلاطين لعلاج الأزمات السياسية والاقتصادية، لم يتخلوا عن دورهم في حل الأزمات الطبيعية، ومنها عندما احترق المسجد النبوي سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، أسهم في عمارة المسجد النبوي عدد من الملوك والرؤساء المسلمين، وجاءت أول مساهمة من قبل الخليفة المستعصم بالله العباسي، الذي أرسل من بغداد المؤن والصناع، وبدأ في العمل من سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م ثم استولى التتار على بغداد، فتبارى ملوك ورؤساء المسلمين في عمارة المسجد، وهم صاحب مصر المعز عز الدين أيبك، وصاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول، فسقفوا فِي سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م الْحُجْرَة

(١) الأنصاري: ناجي محمد، التعليم في المدينة المنورة،ص٢٥٤

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشَّرِيفَة، وَمَا حولهَا إِلَى الْحَائِط الشَّرْقِي إِلَى بَاب جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام، وَمن جِهَة الغرب الرَّوْضَة الشَّرِيفَة جَمِيعهَا إِلَى الْمِنْبَر المنيف، وفي سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م حدثت وَاقعَة بَغْدَاد وَقتل الْخَلِيفَة العباسي، ووصلت الْآلَة من مصر، وَكَانَ المتولي لَهَا تِلْكَ السّنة الْملك المعز عز الدين أيبك، فَأرْسل الآلات والأخشاب فعملوا إِلَى بَاب السَّلَام(١).

وقام الظاهر بيبرس بعمل محرابٍ خشبيٍّ بمصلى النبي ﷺ، قد وصفه السمهودي فقال(٢): "وكان في قِبلَة المصلى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة، يعلوه محراب قد أنتج الصنّاع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة، والمحراب المذكور شبه باب مقنطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور، مكتوب في داخله أمام مستقبله بعد البسملة ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (٣).

وقد احترق هذا المحراب الخشبي في الحريق الثاني، الذي شبَّ في المسجد النبوي عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م في عهد الملك قايتباي، ولما شرعوا في تجديد

(١) ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص٢٨٩.
(٢) السمهودي: وفاء الوفا، جـ٢، ص٩٦-٩٧؛ المغانم الطابة، جـ٢، ص٤٧٦، ٤٧٧.
(٣) البقرة: ١٤٤

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عمارة المسجد النبوي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م" اقتضى رأي متولي العمارة أن يخفض أرض المسجد حتى تكون مساوية للمصلى الشريف، فقطع من الأرض نحو ذراع، فكانوا يجدون طبقة من التراب وتليها طبقة من الرمل، حتى وصلوا إلى الأرض المساوية للمصلى الشريف(١).

قال السمهودي(٢): "وجعلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلا على المصلى الشريف، لأنه إنما في محل الصندوق الذي كان أمام المصلى، لذلك " وكتب تاريخ العمارة في لوح رخامي بظهر المحراب النبوي، منقوش فيه بخط بارز، الشاهد الخاص به(٣):

(١) السمهودي: وفاء الوفا، جـ ٢، ص٩٦.

(٢) السمهودي: وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٩٨.

(٣) في خمسة أسطر: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد. أمر بعمارة هذا المحراب النبوي الشريف العبد الفقير المعترف بالتقصير مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه بتاريخ شهر ذى الحجة الحرام سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م. الشهري: عمارة المسجد النبوي ، ص٣٤٢-٣٤٣.

وكتب على مفتاح عقد المحراب : هذا محراب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وكتبت آيات قرآنية حول عقد المحراب: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ البقرة:١٤٤. صدق الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولا شك أن هذا يدل على اهتمام السلاطين بعمارة المسجد النبوي الشريف.

ولما سقط مطر غزير بالمدينة المنورة في سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م، وترتب على ذلك دمار وخراب في سقف الْمَسْجِد النَّبَوِيّ والحجرة الشَّرِيفَة، وعدَّة دور، فَكتبوا بذلك إِلَى السُّلْطَان "أَن الْحُجْرَة الشَّرِيفَة عَادَتهَا أَن تُكسى فِي زمن الْخُلَفَاء إِذا ولي الْخَلِيفَة فَلَا تزَال حَتَّى يقوم خَلِيفَة آخر فيكسوها، وَأَن الْمنبر وَالرَّوْضَة يبْعَث بكسوتها فِي كل سنة، وأنهما يحتاجان إِلَى كسوة"، وفيهَا جهز السُّلْطَان هَدِيَّة سنيّة إِلَى بر بركَة ومبلغ

= ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب ٥٦. اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه. وكتبت آيات قرآنية في وسط المحراب تحت رجل العقد: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾التوبة ١١٢. وكتب نص على الكتف اليمين للمحراب أسفل رجل العقد: هذا مصلى رسول الله ونص على الكتف الشمالي للمحراب أسفل رجل العقد: قال النبي عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: (الصلاة عماد الدين). رقم٥١٦٩ رمز المصنف لضعفه، قال الزيلعي: فيه الحارث ضعيف أخرجه الديلمي في الفردوس (٣٧٩٥) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٦٥) وقال ضعيف جدا. الأمير(أبو إبراهيم عز الدين، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، ت ١١٨٢هـ) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط١، الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ج٧، ص٨٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ألفي دِينَار برسم عمَارَة جَامع قرم، وَأَن تكْتب عَلَيْهِ ألقاب السُّلْطَان، وجهز حجارًا لنقش ذَلِك وكتابتها بالأصباغ(١).

كما عمل الظَّاهِر ركن الدّين بيبرس الصَّالِحِي الْمَعْرُوف بالبندقداري، فِي أَيَّامه بَاقِي الْمَسْجِد الشريف من بَاب الرَّحْمَة إِلَى شمَالِي الْمَسْجِد ثمَّ إِلَى بَاب النِّسَاء، وكمل سقف الْمَسْجِد كَمَا كَانَ قبل الْحَرِيق سقفاً فَوق سقف، وَلم يزل على ذَلِك حَتَّى جددوا السّقف الشَّرْقِي والسقف الغربي فِي سنتي ٧٠٥-٧٠٦هـ / ١٣٠٥-١٣٠٦م فِي أول دولة السُّلْطَان الْملك النَّاصِر مُحَمَّد بن قلاوون، فَجعلَا سقفاً وَاحِدًا يشبه السّقف الشمالي، فَإِنَّهُ جعل فِي عمَارَة الْملك الظَّاهِر(٢).

ولما احترق المسجد النبوي مرة أخرى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، أسهم في عمارته السلطان قايتباي، وكان ذلك حوالي سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م وقد كملت عمارة المسجد في أواخر القرن التاسع، ثم كانت اصلاحات وتوسعات في السقوف وما إلى ذلك. وبعد الحريق الثاني كتب أهل المدينة للأشرف قايتباي صاحب مصر فأرسل المؤن والعمال وكل المواد

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص١٩٩، ٢٠٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٧.

(٢) ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص٢٩٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والنقود[١]، وفي سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م كان خروج آلات عمارة المسجد النبويّ، وخرج الصنّاع والعمّال. وكان ما جهّز جمال مائتين وخمسين جملا أشياء نادرة[٢]. وقدم الصنّاع والعمال الذين كانوا توجّهوا لأجل عمارة المسجد النبويّ، وقد أنهوا العمل وجاء بناء حسنا[٣].

وقد فوض السلطان قايتباي أمر عمارة الحجرة للشمس ابن الزمن، وذلك سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م. فعمّر السلطان المسجد ووضع الدرابزينات حول الحجرة الشريفة، وعمل فيه منبرا، وسقّفه وذهّب سقفه[٤]. وتمت العمارة حوالي سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م وبنى للمصلى النبوي محرابا [٥].

وبعد عمارته لها أخرج ما سقط من السقف في الحريق المذكور على القبور الثلاثة -الرسول ﷺ، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما-، وأنه لم تتأت إزالته إلَّا بالعتلة والمساحي، قال السمهودي: "كنت أتعجب من ذلك

(١) علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة،ط٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٨٤، ٨٥.
(٢) ابن شاهين الظاهريّ، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل الملطيّ ت ٩٢٠هـ: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ج٧، ص٣٠٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص٣٦٨.
(٤) رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي ت١٢٩٠هـ): نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ط١، دار الذخائر – القاهرة، ١٤١٩ هـ، ص٢١٠.
(٥) علي حافظ: المرجع السابق، ص٨٤، ٨٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

-أي إبقاء ما سقط من على القبور الثلاثة، وأرى الأدب والتعظيم في المبادرة لإزالة ذلك، وظننته لارتكاب شيء من سوء أدب، ووضعت فيه تأليفًا، حتى رأيت ما فعلوا حال إزالة ذلك فعلمت عذر أهل ذلك الزمان ووجه توقفهم، ولذا لم أحضر إزالة ما في جوف الحجرة الشريفة بعد الاستخارة"(١).

ولمّا تمت العمارة التي صرف عليها أكثر من مائة ألف دينار، أرسل إلى المدينة المنورة خزانة كتب، وجعل مقرها بمدرسته التي عمرها هناك، وأرسل عدة مصاحف وأوقف عليها ما يلزم وقفه(٢).

لم يتوقف دور الإدارة على السلاطين بل تعداه إلى الوزراء والأمراء والمحتسب.

فأما الوزراء: فكان نور الدين على بن يحيى وزير الأمير منصور، كان على علاقة طيبة بالمجاورين والخدام، وكان له دور في القضاء على الفتنة التي أشعلها بعض الأشراف في المدينة في محاولة لنهبها(٣).

(١) البكري: نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف، ص٤٩.

(٢) رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، ت ١٢٩٠هـ: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ط١، القاهرة، دار الذخائر، ١٤١٩هـ، ص٢١٠.

(٣) المديرس، المرجع السابق، ص١٤١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والوزير عز الدين حسن بن علي بن سنجر المكي، ثم المدني، الذي منع الأمير طفيل بن منصور أمير المدينة من أخذ تمر المارستان، الذي طلبه الأعراب، واتصف بأنه كان عاقلًا حسن السياسة كثير المولاة للمجاورين(١).

كما كان للأمراء دور في حل الأزمات السياسية مثلما فعل الشريف محمد بن أبي ذر بن عجلان من آل نعير، الذي اقتص من الجاني دبوس بن سعيد الحسيني الطفيلي من شرفاء آل الطفيل بن منصور بقتله؛ حتى يسود الأمن في المدينة، وذلك أن دبوس قد طلب من أبي الفرج المراغي كسوة فرفض المراغي، فحمله ذلك حين دخل المدينة مختفيًا على ضربه إياه وهو داخل لصلاة العشاء من باب السلام بالسيف على كتفه، فكانت الثياب حائلة بينه وبين قتله، لكنه جرح جرحًا يسيرًا ثم هرب الجاني، وطارده الشريف محمد فلم يظفر به تلك الليلة، ثم أدركه في الصباح فقتله تحت جبل عير، ولم يكن يتوهم الغريم قتله، وذلك في سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م(٢).

فضلًا عن دورهم في حل الأزمات الاقتصادية فقد تصدق سيف أرغون الناصري نائب السلطنة بالقاهرة بصدقات كثيرة بالمدينة سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م(٣).

(١) المرجع نفسه، ص١٤٢.
(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،ج١،ص٣٣١.
(٣) المديرس: المرجع السابق، ص١٢٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعندما وصلت الأخبار إلى مصر بوقوع موجة من الغلاء بالحجاز سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م أرسل الأتابكي يلبغا العمري اثني عشر ألف أردب من القمح، فتم توزيعها على الفقراء والمساكين بالمدينة ومكة(١).

واتضح دور أمير الحج الشامي في مواجهة الأزمات ففي حادثة الاعتداء على حرمة المسجد النبوي سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م ذكر السخاوي في التحفة تفصيلات مهمة عن دور أمير الحج الشامي في القضاء عليها فقال : "لما بلغ أمير المدينة أنه عزل بابن عمه خشرم مع أمير الحاج الشامي، فوجد هذا قد أخلى المدينة فأقام بها فلما توجه الركب الشامي لمكة عاد هذا فأمسك خشرم وخرب وحرق بيوتًا كثيرة وسلمت منه بيوت الرافضة، وكان قد أقام من الرافضة قاضيًا اسمه الطفيل وكلما جاءه حكم من الأحكام يرسل به غالبًا إليه، وخلت المدينة إلا من الرافضة والقاضي الشافعي، فإنه كان استنزل شخصا من أقارب خشرم اسمه مانع فأجاره(٢). ويفهم من هذا أن هذه الفتنة انتهت بعد خسائر كبيرة في عهد الأمير عجلان بن نعير والذي لم يستقر له الحكم فيها.

(١) المرجع نفسه، ص١٢٦.

(٢) ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٤،ص٣٠٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،ج١،ص٢٢٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأما عن دور المحتسب(١) فلا شك أنه من أصحاب الوظائف الرقابية التي لعبت دورًا مؤثرًا في الحياة الاقتصادية، ويعرف ابن الأخوة القرشي وظيفة المحتسب قائلا : هو من نصبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية، والكشف عن أمورهم ومصالحهم(٢). ومن مهامه الإشراف على الأسواق؛ لمنع الغش في البيع ومراقبة الأسعار(٣)، كما كان يقوم أيضا بمراقبة الموازين والمكاييل، والإشراف على نظافة الأسواق والمساجد والطرق، ومراقبة التجار وأرباب الحرف والأسعار لمنع الغش

(١) يقوم بوظيفة الحسبة: والحسبة مشتقه من الفعل يحتسب، ومن ذلك قولهم: احتسب أجره عند الله، بمعنى: أدخره عنده، وهى عند الفقهاء الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا نشأ فعله، وفعل ذلك مما يحتسب فاعله عند الله. على عبد القادر: الفقه الإسلامي القضاء والحسبة، من موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة دار المعارف، ص٨٧ . وعرف ابن تيمية الحسبة بأنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة... ونحوهم" ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، مطبعة المؤيد، ١٣١٨هـ، ص٩، الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى منصب الحسبة؛ (وهي: "أن يكون مسلما حرًّا بالغًا عاقلا قادرا، وأن يكون ذا رأى وصرامة وخشونة في الدين، عارفا بأحكام الشريعة ليعلم ما بأمر به وما ينهى= عنه...." وأن يكون عفيفا عن أموال الناس متورعًا عن قبول الهدية من المتعيشين وأرباب الصناعات، فإن ذلك رشوة. ابن الإخوة القرشى : معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبين ليوة، مكتبة المتنبي، ص٧، ١٣، ١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٧، ١٣، ١٤.

(3) Lewis: The Cambridge medieval History, vol Iv, The university press, 1936, p.283.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والاحتكار خاصة في وقت الأزمات، ويعاقب المخالفين لذلك، ويقوم بالتشهير بالتاجر الغشاش بأن يركبه على جمل أو حمار من الخلف، ويطاف به في الأسواق(١)، بالإضافة إلى ذلك إذا رأى المحتسب أحدًا احتكر طعامًا من سائر الأطعمة -وهو أن يشترى ذلك في وقت الرخاء، ويتربص به وقت الغلاء والأزمات، فيزداد ثمنه- ألزمه ببيعه إجباراً، لأن الاحتكار حرام، والمنع من فعل الجرائم واجب(٢).

كما باشر المحتسب الإشراف على الأطباء والصيادلة، وكان يراقب الصيادلة في صناعتهم، كما كان يراقب الأطباء مراقبة شديدة، مع متابعة أحوال المرضى وتقديم ما يحتاجونه من دواء وطعام وغيره خاصة في انتشار الأوبئة كمرض الخوانيق الذي سبقت الإشارة إليه (٣).

---

(١) الشيرزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق وم، القاهرة راجعه: السيد الباز العرينى ، ص١٢، ١٢٧؛ عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، مطبعة الرحالة، ١٩٦٣م، ص٥٥، عصام محمد شبارو: القضاء والقضاة في الإسلام والعصر العباسي، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢١؛ نقولا زيادة: الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٢، ص٣٧.

(٢) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص ٦٥، ٦٦ ؛ عبد الرحمن عبد الكريم العاني، حمدان عبد المجيد الكبيسي: التجارة الداخلية والخارجية ، الفصل السابع من الجزء الخامس، من كتاب حضارة العراق، ص ٣٣٧.

(٣) عبد الله عبد الرازق مسعود: المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي، ص١٦٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وشغل منصب المحتسب في المدينة المنورة في أوقات كثيرة رجال أكْفاء قاموا بواجبهم. ومنهم أبو الحسن علي بن يوسف الزرندي (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) قد أنيط به تولية الحسبة -ومُدح بأنه: سيف لأهل السنة، دامغ للبدعة المضلة(١) قام بنصر سنة المصطفى قياما صحح به النسبة، دفع بسيف بأسه البدعة وأهلها(٢).

وفي فترات الضعف والاضطراب كان أثر المحتسب محدودا إذ لم تكن له شخصية نافذة. وفي العصور المتأخرة بني مقر للمحتسب قرب سوق المناخة سمي: عشَّة المحتسب، وكان له أعوان مكلفون(٣).

كما رصدت الدراسة عددا من العلماء كان لهم دور واضح في علاج الأزمات منهم القاضي شهاب الدين أحمد المطري الذي قام بإحياء وإصلاح بئر رومة في أسفل وادي عتيق؛ حتى يتهيأ لأهل المدينة الحصول على الماء، وكان البئر قد خربت وتعطلت نتيجة للسيول وقدمها، فأعاد حفرها وعمارتها سنة(٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)(٤).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة،ج٢، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٢) الفيروز آبادي: المغانم المطابة، ج٣، ص١٢٦٠.

(٣) محمود السَّيِّد الدّغيم، الزراعة والحدائق والمتنزهات في المدينة، الوسط، العدد ٢٥٩ - الجمعة ٢٣ مايو ٢٠٠٣م الموافق ٢١ ربيع الاول ١٤٢٤هـ.

(٤) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص١٦٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان للشمس محمد بن أحمد بن موسى السخاوي (ت٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) اليد البيضاء في إخماد حريق المدينة سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)[١] وكان في تلك الفترة متوليا لقضاء المالكية بالمدينة، وكان كثير المال، مما واسى به أسر الضحايا، وقام بذلك بماله وجاهه.

كما كان للعلماء دور مهم في مواجهة الأزمات والوقوف على أسبابها وتجنب تكرارها، وذلك من خلال تسجيل تلك الأزمات في مصنفاتهم. فكان قطب الدين، أبو بكر بن القسطلاني (ت٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)[٢] قد صنف: ارتفاع الرتبة باللباس والصحبة، عروة التوثيق في النار والحريق (في حريق المسجد النبوي) تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة، وتتميم التكريم لما في الحشيش من التحريم[٣].

وأرخ عبد الرحمن بن محمد بن صالح (ت٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م٤، ج٧، ص١١٠، ١١١.

(٢) محدث، صوفي، فقيه، أديب، ناثر، ناظم. رحل فسمع ببغداد ومصر والشام والجزيرة، وطلب من مكة، وفوضت له مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة. كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٨، ص٢٩٩.

(٣) المرجع نفسه، ج٨، ص٢٩٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لواقعة نهب جماز بن هبة[١] الحاصل[٢] والتي أدت باعتزال المراغي للقضاء في سنة(٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، فقد ذكر السمهودي أنه رأى بخط شيخه ناصر الدين المراغي(٨١٦هـ/ ١٤١٣م)قائمة بما أخذه جماز من القبة، شملت عددا من القناديل، بلغ وزنها من ٤٣قنطارا من الفضة، إضافة إلى صندوقين من الذهب[٣].

ووضع أبو الفتح محمد بن إبراهيم الخجندي (ت٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) جزءا أرخ فيه لواقعة سرقة القناديل في المدينة سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) سماه عجائب القرن فيمن تهجم على قناديل الحجرة[٤].

ووضع الجمال بن أبي السعادات الكازروني كراسة يؤرخ فيها للصاعقة التي ضربت المدينة في أول الثلث الأخير من ليلة ثالث عشر

(١) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني، ولي إمرة المدينة ثلاث مرات كان أولها سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، وآخرها سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م)، مات مقتولا سنة(٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٧٦؛ عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص٢٩١.

(٢) جمعها حواصل، وهي بمعنى مخزن وحانوت وتشتمل على مصطبة بظاهرها باب والحواصل هي التي يساق إليها محصول الأصناف المتنوعة كالأخشاب والحديد وما أشبه ذلك. محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة، (د.ت)، ص٢١.

(٣) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص١٩٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٤٠٤؛ الضوء اللامع، م٣، ج٦، ص٢٤٥- ٢٤٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رمضان سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) ومات فيها أبوه أبو السعادات، حيث كان يُسمح بالمنارة الرئيسية عند نزول الصاعقة، ونشب بسببها الحريق(١).

ووضع العفيف أحمد بن مسدد الكازروني تأريخا لواقعة حريق نشب بالمدينة سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) في كتاب سماه" ورود النعم وصدور النقم"(٢).

وأَبو نصر الشَّافِعِي المقعد عَمه الْجمال أَبو اليمن مُحَمَّد(٣) (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) كان مرجعا لأهل المدينة في مهماتهم، وكان كثير

(١) السخاوى: الضوء اللامع، م٥، ج٩، ص٢٧٢.

(٢) المصدر نفسه ، م١، ج٢، ص٢٢٥.

(٣) نَشَأ وتوفى بطيبَة، وتصدر بعد أَبِيه للاسماع فَكَانَ يقْرَأ عَلَيْهِ كثير من أهل بَلَده القادمين عَلَيْهَا وهم متفقون على وجاهته وجلالته وخيره ومتانة عقله، وكان مرجعا فِي مهماتهم وَغَيرهَا من أُمُور الْمَدِينَة سِيمَا أن آراءه كانت جليلة ومقاصده حَسَنَة جميلَة، وتوده للْفُقَرَاء والغرباء متزايد، وَله فِي الْحَرِيق الْوَاقِع بالمدينة الْيَد الْبَيْضَاء، وَلذَا كثرت دُيُونه لِكَثْرَة تجمله ومواساته بِخِلَاف أَبِيه. وَلم يزل على وجاهته إِلَى أَن مَاتَ، وكانت همته عَالية وبهجته جليلة مَعَ نقص حركته، فَإِنَّهُ من صغره عرض لَهُ عَارض بِحَيْثُ أقعد، حَتَّى صَار يمشي أَولا على عكازين ثمَّ بِآخرَة صَار يوضع على تكة لَهَا بكر تسحب بهَا إِلَى بَاب الْمَسْجِد، ويحمله من ثمَّ حَامِل إِلَى اسطوانة التَّوْبَة من الرَّوْضَة فيجلس بهَا فِي أَيَّام الْجمع وَنَحْوهَا، وَكَذَا أشهر الحَدِيث، وَبَاقِي الْأَيَّام فِي بَيته وَلَا يتْرك مَعَ ذَلِك الْحَج فِي كل سنة، وَقد لَقيه السخاوي مرَارًا بِمَكَّة ثمَّ بِالْمَدِينَةِ فِي مجاورته بهَا وَسمع منه أَشْيَاء وَعظم اغتباطه بِهِ وَصَارَ يحض النَّاس على الْأَخْذ عنه. السخاوى: الضوء اللامع، ج٩، ص ٥٦، ٥٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الإحسان للفقراء والغرباء، وَله دور كبير في مواجهة الحريق الْوَاقِع بهَا(١).

كما ألف السمهودي علي بن عبد الله (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) "ذروة الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى ﷺ" وهو كتاب يختص بعمارة المسجد النبوي، وقد كتبه السمهودي بعد الحريق مباشرة، وكان له اليد الطولى في إعادة ما تهدم من المسجد النبوي بسبب هذا الحريق، وذلك بالشفاعة لدى السلطان.

كما استطاع السمهودي أن يرفع عن كاهل أهل المدينة دفع المكوس وتعويض أميرها، وذلك بتوسطه لدى السلطان عندما حج سنة(٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) فأحسن السلطان إلى أهل المدينة، وأجاب طلب السمهودي في ذلك(٢).

وقام الشيخ جمال المطري بالتمكين للسنة، فوهب نفسه لخدمة المجاورين وغيرهم من أبناء المدينة لكونهم من أهل السنة(٣).

وكان أهل العلم محبين للسنة مناوئين للطريقة الشيعية التي جثمت على المدينة عقودا قبل الحكم المملوكي، فتوافق هذا مع المماليك

(١) السخاوى: الضوء اللامع، ج٩، ص٥٦، ٥٧ .

(٢) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص٢٨.

(٣) ابن فرحون، أبو محمد عبد الله: نصيحة المشاور، ص١٨٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في التوطيد لأهل السنة شيئا فشيئا، ولا شك أن جهود العلماء أمثال المطري رسخت هذا الأمر، حتى تم زوال هذا المذهب ورجوع المدينة إلى السنة. هذا وقد استغل الأشراف انشغال السلطان قلاوون بالتتار، وظنوا أنه لن يحج لانشغاله، فتسلطوا على أهل السنة، وحاولوا إخراج المجاورين السنة من المدينة عدة مرات، فذهب الشيخ جمال الدين إلى الشيخ ابن الشيخ أبي الربيع وسأله، فتفرس أبو الربيع بمجيء السلطان للحج وانتشر ذلك، ووافق أن قدم السلطان للحج فقويت به السنة وانقمع الأشراف مما هموا به، وقد حاول الأشراف بعد وفاة جمال الدين المطري، أن يعيدوا الشيعة للمدينة ثانية بإخراج المجاورين السنة، ففي سنة(٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وبعد وفاة خادم ثابت بن جماز[١]، فما كان من أمر محنة العفيف المطري مع هذا الأمير، أمر ثابت بإخراج جميع المجاورين غنيهم وفقيرهم من المدينة، وأنظرهم ثلاثة أيام ليتجهزوا فيها وصمم على ذلك، ثم تركهم في يوم خروج العفيف من السجن بعد شفاعات، وكان العفيف مانعا للأمير من التسلط عليهم، ومن قبله أبوه الجمال المطري، ولم تنته محنة المجاورين إذ شوش عليهم ابن جماز وطلب عشرة آلاف

(١) هو الأمير ثابت بن جماز تولى إمارة المدينة نيابة عن أخيه ودي بن هبة الله بن جماز بن منصور بن شيخه، مات مقتولا بالمدينة سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م). المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الالامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٣، ص١٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

درهم من أحد عشر نفرا، وألزمهم بالخروج من المدينة إن لم يدفعوها، وخرجوا إلى قباء، ثم طلع القاضي شرف الدين الأميوطي إلى الأمير وتكلم معه كلاما غليظا وقال : أنا أول من يسافر معهم، فرجع الأمير عن رأيه، وبعث إليهم فدخلوا المدينة آمنين(١).

كما كان للعلماء دور في القضاء على الصراعات الفكرية:

قد تحكم الفقهاء الشيعة في أمور المدينة الدينية، ومُورست البدع، وتعرض أهل السنة لأزمة مذهبية ونالهم الأذى، وقد ذكر ابن فرحون في نصيحة المشاور الكثير من تلك الممارسات التي كان يفعلها الفقهاء والأمراء من آل سنان وغيرهم ممن اتبعوا هذا المذهب من بدع في المسجد النبوي(٢).

ولما قامت الدولة المملوكية على أعقاب الدولة الأيوبية بمصر والشام، كان معظم أمراء المدينة من الحسينيين من أتباع المذهب الإمامي، إلا أنهم أظهروا الاتجاه إلى المذهب السني رغبة في استرضاء السلطة المملوكية، التي كان لهيبتها ونفوذ علمائها أثر كبير في إضعاف شأن فقهاء

(١) ابن فرحون، أبو محمد عبد الله: نصيحة المشاور، ص١٥٣؛ المديرس: المرجع السابق، ص١٣٩-١٤٠.

(٢) ابن فرحون، أبو محمد عبد الله: المصدر السابق، ص٢١١؛ المديرس: المرجع السابق، ص١٨٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الإمامية، فقد منع آل سنان قضاة الإمامية من التعرض للأحكام، وعقد الأنكحة وأمروا قضاة أهل السنة بذلك[١]. ويعتبر ذلك بداية التحول السني في المدينة، وكان هذا مع قدوم المجاورين السنة، ومقدم العديد من العلماء ممن رزقوا القوة والحكمة، فمع بداية القرن ٨هـ/ ١٤م انتقل القضاء إلى أهل السنة، وكان ذلك في عهد الأمير أبي غانم منصور بن جماز ابن شيخة (٧٠٠- ٧٢٥هـ/ ١٣٠٠-١٣٢٤م).

ومن هؤلاء العلماء المجاورين البدر أبو محمد بن محمد بن فرحون (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) باشر الأحكام نيابة عن القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني (ت٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م)[٢] وذلك في سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) وكان له٥٣سنة، فبهمته وسياسته أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة، حيث سلك مع الناس سبيل السياسة وسدد الأحكام، وجرى على الصلح بين الخصوم، فمال إليه أهل المدينة، وكان لا يأخذ منهم شيئا في حكم ولا إثبات ولا وراقة، بل كان يعطي من عنده من تحقق ضرورته من الغرماء، فأحبه أهل المدينة ومالوا عن قضاة الإمامية واعتزلوهم وتركوا المحاكمة عندهم، حتى إن القاضي حسن بن

(١) ابن فرحون، المصدر نفسه، ص٢٢٥؛ المديرس: المرجع نفسه، ص١٩٥.

(٢) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ج٣، ص١١٢٩، ١١٣٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ١٣٧، ١٣٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سنان الملقب عزيز، صار يجلس على باب زقاق ابن فرحون، فإذا رأى المختصمين، دعاهم إليه، فلا يلتفتان إليه، ولم يزل أمرهم يتقاصر وعددهم يقل، حتى مات كبارهم(١). فعزلت قضاتهم وانكسرت شوكتهم، وخمدت نارهم، وسعى في عزل قضاتهم، فنودي في شوارع المدينة بتبطيل أحكامهم، والإعراض عن حكامهم، فكان ذلك أول أسباب قوة أهل السنة، وإخماد البدعة، وعلو أمرهم، كما يقول السخاوي ويضيف:" وكم له من حسنات في تمهيد إعزاز السنة، وإخماد البدعة"(٢).

وكان لمحمد بن أحمد السخاوي(٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) الذي تولى قضاء المالكية بالمدينة النبوية سنة(٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) الأيادي البيضاء في قتل بعض الرافضة، لما قاموا به من أعمال تنافي الشرع، كما كانت له مواقف غير ذلك مما جبن غيره عنها(٣).

إضافة إلى ذلك انتشرت في المدينة بعض البدع والخرافات منها بدعة الجزعة التي كانت تقع في المحراب القبلي المقابل للمصلى في المسجد النبوي، ويبدو أن ابن جبير قد ذكرها في رحلته بقوله: "وفي أعلاه داخل المحراب مسمار مثبت في جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أي شيء

(١) ابن فرحون، المصدر السابق، ص٢٢٢.٢٢٣.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ١٣٧، ١٣٨

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٤٠، ٤٤١

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هو، ويزعم أيضا أنه كان كأس كسرى"(١). وذكر ذلك البلوي بقوله: "وبإزاء الجهة القبلية عود يقال أنه مطبق على بقية الجذع الذي حن للنبي -ﷺ- وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس، ويتبركون بلمسها ومسح خدودهم فيها(٢).

وذكر السمهودي" أنه كان يجتمع إليها الرجال والنساء، ويقال: هذه خرزة فاطمة بنت النبي -ﷺ-، وكانت عالية لا تنال بالأيدي، فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترتقي على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها، فربما وقعت المرأة وانكشفت عورتها، وربما وقعتا معا"(٣) فلما جاور ابن حنا المصري(الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي كان فقيها دينا رئيسا) بالمدينة سنة٧٠١هـ/ ١٣٠١م" رأى ذلك فاستعظمه وأمر بقلع الجزعة، فقلعت"(٤).

ومن دور علماء العربية ما رصده الشعراء بهدف تسجيل الأحداث، وَمِمَّا نَظَمَهُ بَعْضُ الشُّعراء في الأزمات التي وقعت في المدينة فِي

(١) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ: رحلة ابن جبير، ط١، بيروت، دار بيروت، ص١٧٢.

(٢) البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، صندوق إحياء التراث الاسلامي، المحمدية الغرب، د.ت، ج١، ص٢٨٦.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص٣٧٣.

(٤) السخاوي، التحفة، ج١، ص٢٤١؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص٣٧٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هَذِهِ النَّارِ الْحِجَازِيَّةِ وَغَرَقِ بَغْدَادَ قَوْلُهُ:

سُبْحَانَ منْ أصبحتْ مشيئَتُهُ جَارِيَةً فِي الوَرى بمقدارِ
أغرقَ بغدادَ بالمياهِ كَمَا أحرَقَ أرضَ الحجازِ بِالنَّارِ

قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ:

فِي سَنَةٍ أَغْرَقَ الْعِرَاقَ وَقَدْ أحرَقَ أرضَ الحجازِ بِالنَّارِ[1]

وقَدْ قَالَ أَبو شَامَةَ (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) فِي الَّذِي وَقَعَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَمَا بَعْدَهَا شِعْرًا وَهُوَ قوله:

بعد ست من المئين والخمسين لذي أَرْبَعٍ جَرَى فِي الْعَامِ
نَارُ أَرْضِ الْحِجَازِ مَعَ حَرْقِ الْمَسْجِدِ مَعْهُ تَغْرِيقُ دَارِ السَّلَامِ
ثُمَّ أَخْذُ التَّتَارِ بَغْدَادَ فِي أَوَّلِ عَامٍ، مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَعَامِ
لَمْ يُعْنَ أَهْلُهَا وَلِلْكُفْرِ أعوان عَلَيْهِمْ، يَا ضَيْعَةَ الْإِسْلَامِ
وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْخِلَافَةِ مِنْهَا صَارَ مُسْتَعْصِمٌ بِغَيْرِ اعْتِصَامِ
فَحَنَانًا عَلَى الْحِجَازِ وَمِصْرَ وَسَلَامًا عَلَى بِلَادِ الشَّامِ
رَبِّ سَلِّمْ وَصُنْ وعاف بقايا المدن، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ[2]

وَفِي لَيْلَة الْجُمُعَة مستهل شهر رَمَضَان سنة٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م احْتَرَقَ مَسْجِد النَّبِي -ﷺ- وَكَانَ ابْتِدَاء حريقه من زاويته الغربية

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٣، ٢٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ج١٣، ص٢٢٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فأحرقت سقوفه كلهَا وذاب رصاصها وَوَقع بعض أساطينه وَاحْتَرَقَ سقف الْحُجْرَة النَّبَوِيَّة(١).

وَقَدْ قَالَ الشعراء فِي حريق المسجد النبوي سنة٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م:

يَا كَاشِفَ الضر صفحا عن جرائمنا ... فقد أَحَاطَتْ بِنَا يَا رَبِّ بَأْسَاءُ
نَشْكُو إِلَيْكَ خُطُوبًا لَا نُطِيقُ لَهَا ... حَمْلًا وَنَحْنُ بِهَا حقا أحقاء
زلازل تخشع الصم الصلاد لها ... وكيف تقوى على الزلزال صماء
أَقَامَ سَبْعًا يَرُجُّ الْأَرْضَ فَانْصَدَعَتْ ... عَنْ مَنْظَرٍ مِنْهُ عَيْنُ الشَّمْسِ عَشْوَاءُ(٢)

في رمضان سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م كانت الصاعقة التي احترق بنارها المسجد النبوي الشريف سقفه وحواصله وخزائن كتبه وربعاته، ولم يبق من قناطره وأساطينه إلّا اليسير جدا، وصار كالتنور مع جماعة كثيرين من الأعيان وغيرهم، وقال الشعراء في ذلك فأكثروا وكان من قديمه:

لم يحترق حرم النّبيّ لريبة ... تخشى عليه وما به من عار
لكنّما أيدي الرّوافض لامست ... تلك الرّسوم فطهّرت بالنّار(٣)

(١) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ،ت ٧٧١هـ:طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ج٨، ص٢٦٧.

(٢) ابن كثير: معجزات النبي ﷺ، ص٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ،ج٩،ص٥١٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،ج١،ص٤٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعلى الرغم من رصد الشعراء لهذه الأحداث فإنه لم يكن لهم أثر واضح في علاج تلك الأزمات.

موقف العامة (المجاورين والخدام) من الأزمات:

تميزت العلاقات بين أمراء المدينة من الأشراف والمجاورين بعدم الاستقرار غير أنها كانت فاترة أو سيئة في معظم الفترات، نتيجة مضايقة أمراء المدينة للمجاورين، وفرض الضرائب عليهم، ومصادرة أموالهم في بعض الأحيان عندما تشتد الأزمات السياسية؛ كما حصل من قبل الأمير منصور بن جماز الذي تولى الإمارة سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٠٤م. حيث طلب الأموال من الخدام، فطلب من كل واحد ألف درهم فرفضوا، وأيدهم المجاورون في ذلك. ومارس نفس السياسة أمراء آخرون، من بينهم مانع ابن علي بن مسعود بن جماز الذي طلب الأموال من أهل المدينة والمجاورين والخدام، وعز الدين جماز بن منصور بن شيحة، كما قام الأشراف في فترات مختلفة بمحاولات نهب المدينة واقتسام أموال أهلها، فتصدى لهم المجاورون والخدام ومنعوهم من ذلك(١).

(١) المديرس، المصدر السابق، ص١٤٠

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذا وقد وقف المجاورون والخدام صفا واحدا في وجه تسلط الأشراف فكانت "كلمتهم واحدة يهم كبيرهم ما يهم صغيرهم ويقومون لقيام ضعيفهم(١).

وعن موقف العامة من الحريق فقد لجأوا إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَتَابُوا إِلَى اللهِ مِنْ ذُنُوبٍ كَانُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَغْفَرُوا عند قبر النبى - ﷺ - مِمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ وأعتقوا الغلمان، وتصدقوا على فقرائهم(٢).

كما ذَكَرَ أيضا فِي الْكِتَابِ: "وَكَانَ بِخَطِّ قَاضِي الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ لَمَّا زُلْزِلُوا دَخَلُوا الْحَرَمَ وكشفوا رؤوسهم وَاسْتَغْفَرُوا وَأَنَّ نَائِبَ الْمَدِينَةِ أَعْتَقَ جَمِيعَ مَمَالِيكِهِ، وَخَرَجَ مِنْ جَمِيعِ الْمَظَالِمِ، وَلَمْ يَزَالُوا مُسْتَغْفِرِينَ حَتَّى سَكَنَتِ الزَّلْزَلَةُ(٣).

وقد تجمع الناس في المسجد النبوي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، وصعد أهل النجدة بالمياه للسقف لإطفاء النار، وقد أخذ لهيبها يزحف نحو الشمال والغرب، وعجز الناس عن إطفائها وكانت سريعة في سيرها، وكادت تدرك الناس فذهبوا بما كان معهم من حبال إلى شمال المسجد ونزلوا هناك(٤).

(١) المرجع نفسه، ص١٤١.
(٢) ابن كثير: معجزات النبي - ﷺ، ص٣٧٣، ٣٧٤.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٣، ٢٢٤.
(٤) علي حافظ: المرجع السابق، ص٣٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخاتمة

أظهرت الدراسة أن الأزمات من الظواهر المتكررة في تجربة التاريخ الإنساني، وليست خاصة بمجتمع دون الآخر، ولا بزمن دون زمن، والمتتبع لتاريخ البشرية يجد عددا من الأزمات برزت في مجتمعات مختلفة، وكانت فائدة لمجتمعات أخرى، وإذا ما تتبعنا تاريخنا الاسلامي نجد أن المسلمين في المدينة المنورة قد تعرضوا للكثير من الأزمات ولاسيما في فترة الدراسة.

ولا شك أن التعرف على أسباب الأزمات، وتحديد الاطراف الفاعلة والمؤثرة فيها، تسهل على المجتمع بفئاته استخدام الوسائل المتاحة للوقاية من الازمات، أو مواجهتها بنجاح بما يحقق الاستقرار في المجتمع.

وقد أوضحت الدراسة أن الأزمات الطبيعية يصعب التكهن بها والتحكم في أبعادها، ويكون لها دور مباشر في إتلاف العديد من المزارع والحقول والمحاصيل الزراعية بأنواعها.

وتوصلت الدراسة إلى أن الأزمات الاقتصادية الخارجية سواء في مصر أو الشام أو غيرها كانت تؤثر بشكل كبير على المدينة المنورة، وغالباً ما يؤدي ذلك إلى انقطاع الإمدادات عنها، وبالتالي حدوث العديد من الأزمات الاقتصادية.

وأن الأزمات السياسية خاصة الصراع على الإمارة في المدينة المنورة كان محصورًا -في الغالب- ضمن عدد محدود من الأفراد داخل الأسرة الحسينية، أما بقية الأسرة الحسينية فكانت تعيش حياتها العادية بهدوء واستقرار، وكان عدد كبير منهم يهتم بالعلم، ويشارك في حلقات التدريس، وكذلك بقية أهل المدينة المنورة ؛ كانوا بعيدين كل البعد عن هذه الصراعات، يعيشون حياتهم اليومية في متاجرهم ومزارعهم وحلقات العلم في المسجد النبوي، والمدارس، والأربطة، والزوايا المنتشرة حوله، وما لم تحدث غارة على المدينة؛ لم يكونوا يشعرون بهذا الصراع أو يتأثرون به، وعندما تحدث غارة من أحد المتنافسين على السلطة كانت الأحوال تضطرب لفترة قد لا تطول أكثر من ساعات، يتمكن فيها المغيرون من الاستيلاء على الإمارة، أو يتمكن رجال الإمارة من طردهم، ثم ينتهي الأمر، وتعود الحياة إلى مجراها الطبيعي.

ويتضح من الدراسة أن سياسة السلطنة المملوكية تجاه المدينة كانت بهدف دعم الاستقرار فيها من خلال دعم أمرائها بالقوة العسكرية، مما مكنها من قمع معارضيها. كما كان للمماليك دور في التخفيف من شدة الأزمات الاقتصادية وحدة كثير من المجاعات، التي حدثت في المدينة المنورة، بما توفره من هبات وصدقات وقت الأزمات.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لم يقتصر الدور على السلاطين والأمراء والوزراء والمحتسبين، بل تعداهم إلى العلماء والشعراء والعامة في المدينة المنورة مما أسهم في تقليل حجم الخسائر والحد من انتشارها. كما كشفت الأزمات عن الترابط الوثيق بين فئات المجتمع المختلفة.

وكان للعلماء دور مهم في مواجهة الأزمات بمصنفاتهم، ومعاونة أهل المدينة في مصائبهم، فضلا عن القضاء على البدع والأفكار الضالة.

هذا وأكدت الدراسة على ضرورة تحديد الأدوار والمسؤوليات لكافة فئات المجتمع في مواجهة الأزمات.

التوصيات:

- أن تكلف السلطة الحاكمة أهل الاختصاص بتأسيس قاعدة بيانات شاملة و دقيقة من المعلومات والبيانات الخاصة بكافة الأزمات، وآثار وتداعيات ذلك على فئات المجتمع. لوضع أسس قوية لطرح البدائل لمواجهة الأزمات، والاختيار من بينها.
- استخلاص الدروس من أزمات المجتمعات المختلفة، واكتساب خبرات جديدة تحسن من أساليب التعامل مع الأزمات في المستقبل.

- أن تسعى السلطة الحاكمة لصياغة أنموذج خاص بالتنبؤ بالأزمات الطبيعية والبشرية، ويكون موضع التطبيق لضمان الاستقرار في المجتمع.
- إدراك أهمية الوقت لأنه عامل مطلوب لمجابهة الأزمة والتفكير في البدائل واتخاذ القرارات المناسبة.
- الاستعداد الدائم لمواجهة الأزمات بوضع الخطط، و تدريب أفراد المجتمع، وتعظيم الشعور المشترك بين فئات المجتمع المختلفة.

هذا، وأسأل الله -عَزَّوَجَلَّ- الإخلاص في القول والعمل، والتوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- **ابن الإخوة القرشى (ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد ت، ٧٢٩هـ):** معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق روبين ليوة، القاهرة، مكتبة المتنبى.
- **الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي، ت٣٤٦هـ):** المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤ م
- **الأنصاري (عبد الرحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني، ت١١٩٥هـ):** تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العرويسي المطوي،ط١، تونس، المكتبة العتيقة، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- **البكري (محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم الصديقي ،ت ١٠٥٧ هـ):**نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف - سلسلة لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، اعتنى به: محمد أبو بكر عبد الله باذيب، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- **ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، ت٨٧٤هـ):**

١. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.

- **ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، ت٨٥٢هـ):** الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان،ط٢، الهند، نشر مجلس دائرة المعارف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- **ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني أحمد ت٢٤١ هـ)**: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة،١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- **الدِّيار بَكْري (حسين بن محمد بن الحسن،ت٩٦٦هـ)**:تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ،بيروت، دار صادر.
- **الرشيدي: أحمد**، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد ،القاهرة، مطبعة الخانجي،١٩٨٠.
- **السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ،ت ٧٧١هـ)**:طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو،ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- **السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، ٩٠٢هـ)**: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، بيروت، الكتب العلمية ،١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- **السمهودي (علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن، ت٩١١هـ)**: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩م.
- **ابن سيده المرسي (أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت: ٤٥٨هـ)**: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ م.
- **ابن شاهين الظاهريّ (زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل الملطيّ ت ٩٢٠هـ)**: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.
- **ابن الضياء (بهاء الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي، ت ٨٥٤هـ)**: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- **الطبراني(أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ت٣٦٠هـ):** المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
- **الطهطاوي، رفاعة رافع بن بدوي بن علي، ت١٢٩٠هـ):** نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ط١، القاهرة، دار الذخائر، ١٤١٩هـ.
- **العليمي (مجير الدين الحنبلي، ت٩٢٧هـ):** الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، نشر مكتبة دنيس، عمان،١٤٢٠هـ.
- **ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري، ت ١٠٨٩هـ):** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **العيني: (بدر الدين محمود، ت٨٥٥هـ)** عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- **الفاسي(تقي الدين محمد بن أحمد بن طي،ت٨٢٣هـ):** شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٠م.
- **ابن فهد (محمد بن محمد،ت٨٨٥هـ):** اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة،١٩٨٤ م.
- **ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ،ت٨٠٧هـ)** تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٣٩م.
- **الفيروز آبادي (مجد الدين ابن يعقوب، ت٨١٧هـ):** معجم القاموس المحيط، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط٤، بيروت، دار المعرفة،٢٠٠٩م.
- **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، ت ٧٧٤هـ):**

١. البداية والنهاية، دار الفكر،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٢. معجزات النبي - ﷺ - (من كتاب البداية والنهاية لابن كثير)،تحقيق وتعليق: السيد إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- **مسلم (أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ)**: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- **المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي ت ٨٤٥هـ)**:

١. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،ط١،بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢. المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- **ابن الملقن (سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ت ٨٠٤هـ)**: التوضيح لشرح الجامع الصحيح ،تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١، دمشق – سوريا، دار النوادر ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- **المكي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، ت ١١١١هـ)**: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ
- **ابن النجار(محمد بن محمود بن الحسن، ت٦٤٣هـ)**: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: صلاح الدين بن عباس بن شكر، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- **النسائي(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، ت ٣٠٣هـ)**،السنن الكبرى، تحقيق وتخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- **النويري (شهاب الدين أحمد،ت٧٣٢هـ)**: نهاية الأرب، في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.
- **اليافعي (عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليمني، ت٧٦٨هـ)**: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣٧هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثانيا: المراجع :

- **إبراهيم، أحمد،** إدارة الأزمة منظور عالمي. الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،٢٠٠٢م.
- **بيومي، محمد على فهيم:** مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، ط١، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- **الدليمي عبد الرزاق محمد،** إشكاليات الإعلام والاتصال في العالم الثالث، عمان، مكتبة الرائد العلمية، ٢٠٠٤.
- **دُوزِي، رينهارت بيتر آن:** تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، ط١، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠
- **شبارو، عصام محمد** : القضاء والقضاة في الإسلام والعصر العباسى، بيروت، ١٩٨٢.
- **الشمري، فهيد،** المدخل الإبداعي لإدارة الأزمات والكوارث، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ.
- **طقوش، محمد سييل:** تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ط١، القاهرة، دار النفائس، ١٩٩٧م.
- **عبد المنعم، ماجد:** تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، مطبعة الرحالة، ١٩٦٣م.
- **علي حافظ:** فصول من تاريخ المدينة المنورة،ط٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **علي عبد القادر:** الفقه الإسلامي القضاء والحسبة، من موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة دار المعارف.
- **كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني:** معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- **آل مانعة، خالد بن مسفر**، دور المواطن في مواجهة الكوارث والأزمات في عصر المعلومات، الرياض، دار النحوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
- **محمد عثمان الخطيب**: الاوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي، دار الكتاب الثقافي محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة، (د.ت).
- **محمد محمد أمين**: الأوقاف والحياة الاجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية.
- **المديرس، عبد الرحمن مديرس**، المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- **نقولا زيادة** : الحسبة والمحتسب فى الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٢..
- **هنتسن فالتر**: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م

ثالثا: المراجع الاجنبية:

- Lewis : The Cambridge medieval History, vol Iv The university press, 1936

رابعًا: – الدوريات:

- **الجهني، عويضة**، سلطة أشراف مكة في المدينة المنورة خلال القرن العاشر الهجري–مجلة الجمعية التاريخية السعودية – العدد السادس عشر، السنة الثامنة، ذو القعدة ١٤٢٨هـ/ نوفمبر ٢٠٠٧م.
- **الدّغيم، محمود السَّيِّد**، الزراعة والحدائق والمتنزهات في المدينة، الوسط،، العدد ٢٥٩ – الجمعة ٢٣ مايو ٢٠٠٣م الموافق ٢١ ربيع الاول ١٤٢٤هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة